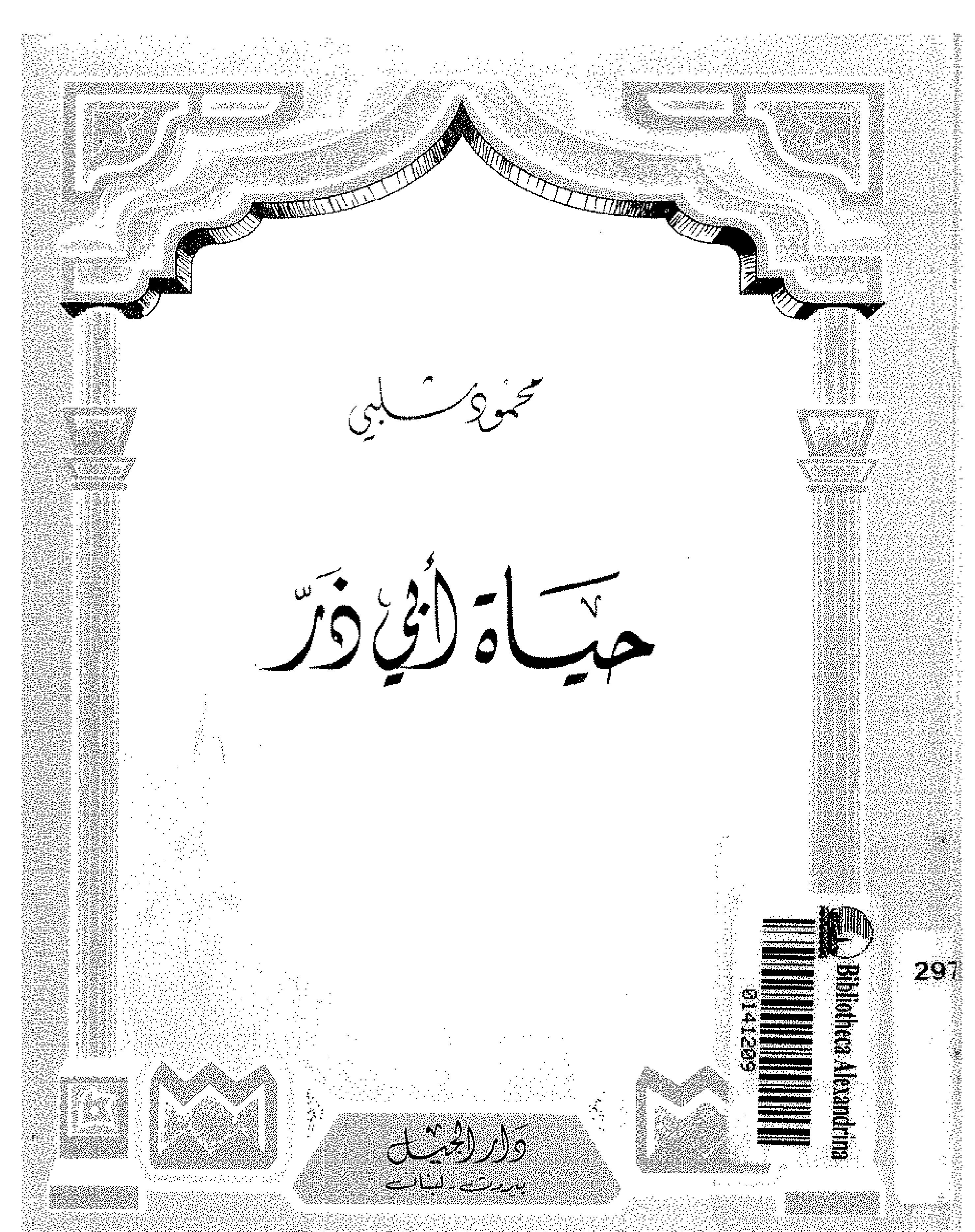


محمود شلبي
حياة أبي ذر
دار الجيل
بيروت - لبنان

حيـــاة أبي ذر

محمود شلبي

حياة أبي ذر

دار الجيل
بيروت

الطبعة الثانية
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهــداء

اللــهم . . . منــك . . . وإليــك

محمــود شلبي

المقـــدمة

أحمـــدك اللهم ..

وأصلي وأسلم .. على نبيك الكريم .. وبعد ..

لم يكن من تخطيطي ..

وإنمـــا كان من توفيقي ..

لم يكن في نيتي أن أصدر كتاباً مستقلا عن « حياة أبي ذر » .

وإنما شيء فوق تقديري .. فرض علي الأمر فرضاً .

فقد كنت في سبيل تأليف « حيـــاة عثمان » .. وفي تفكيري أن أبا ذر لا يعدو أن يكون رجلا من شعب عثمان .. أو على أحسن تقدير من معارضي سياسة عثمان .

ولكن ما ان مضيت شوطاً في « حياة عثمان » حتى لمحت في تاريخ عثمان شيئاً ما .. حبيساً .. يريد أن يخرج في عصرنا .. عصر الصراع الفكري .

كان ذلك الشيء عملاقاً في قارورة من نور .

ما ان مسسته بيدي .. حـــتى انطلق مارداً جباراً .. يدوي في صوت كالرعد القاصف .. افسحوا الطريق .. أنا صوت الجماهير .

أنا السراج الوهاج .. أنا قطرة من عظمة البشير النذير .

ونظرت .. فإذا الرجل اسمه .. أبو ذر الغفاري .

اشعاع .. لو ترك لينطلق في الآفاق .. لطمس نوره كل ما يقوم على هـــذه الأرض .. من نظم شرقية أو غربية !

فأصبح لزاماً .. أن يخرج .. أبو ذر .. إلى الناس في كتاب وحده .

ليستيقن الجميع أنه كان أمة وحده .

كما قال فيه .. رسول الله .. ﷺ « يعيش وحـــده .. ويموت وحده .. ويبعث يوم القيامة وحده » !

أنموذج فريد .. وحيد .. في تاريخ الإنسان .

والآن .. تقدم .. وادخل إلى تلك الجنة .. جنة أبي ذر .

وانظر .. هل صدقتك حين قلت لك .. انه كان أمة وحده ؟!

محمـــود شلبي

صاحب رسول الله ؟!

ماذا كان ؟!

كان قاطع طريق !.

جسوراً .. هسوراً .. قبل أن يعرف هذه الدعوة .

قالوا : كان أبو ذر .. رجلاً يصيب الطريق .. وكان شجاعاً .. يتفرد وحده بقطع الطريق .. ويغير على قوافل الإبل في عماية الصبح .. على ظهر فرسه .. أو على قدميه .. كأنه السبع .. فيطرق الحي .. ويأخذ ما يأخذ !.

فما معنى هذا ؟!

معناه ان الرجل كان فارساً .

ولقد كانت قبيلته .. قبيلة غفار .. تعيش على السلب والنهب والإغارة .. وكان الرجل فارسهم المقدم .. وأسدها الذي لا يقاوم !

عرف الله .. قبل أن يعرف رسول الله ؟!

أعجب ما في هذا البطل العظيم .

انه عرف الله .. ونادى من أعماقه .. لا إله إلا الله .. قبل أن يسمع عن رسول الله .. ﷺ .. أو يعرف شيئاً عن رسالته !.

قالوا : قال أبو ذر .. لعبد الله بن الصامت : لقد صليت يابن أخي ، قبل أن ألقى رسول الله .. ﷺ .. بثلاث سنين .

فقال عبد الله : لمن ؟!

قال أبو ذر : لله .

قال عبد الله : فأين تتوجه ؟

قال أبو ذر : حيث وجهني الله عز وجل .. وأصلي عشاء ، حتى إذا كان من آخر الليل ، ألقيت كأني خفاء (رداء يخفى تحت الثياب) حتى تعلوني الشمس.

كان حراً .. في تفكيره .

يحتقر السجود لأصنام من حجارة !.

ويحتقر أن يوافق قومه على باطلهم .

حتى اهتدى إلى وجود إله واحد .

وانتهى إلى وجوب عبادته .

فذهب يصلي له طويلاً .

حسبما هداه تفكيره !.

فهو رجل تحقق بالتوحيد .

قبل أن يلتقي برسول الله .. ﷺ !.

المفكر الحر .. يبحث عن الرسول ؟!

قالوا : كان أبو ذر يتأله (يتعبد) في الجاهلية .. ويقول : لا إله إلا الله .. ولا يعبد الأصنام .

فمر عليه رجل من أهل مكة بعدما اوحى إلى النبي .. ﷺ .

فقال : يا أبا ذر ، ان رجــلا بمكة يقول مثل ما تقول ، لا إله إلا الله ، ويزعم أنه نبي .

فقال أبو ذر : ممن هو ؟!

قال : من قريش .

فأخذ أبو ذر زاده ، وخرج حتى قدم مكة .

فرأى أبا بكر يضيف الناس ، ويطعمهم الزبيب ، فجلس معهم ، فأكل .

ثم سأل من الغد : هل أنكرتم على أحد من أهل مكة شيئاً ؟!

فقال رجـــل من بني هاشم : نعم ، ابن عم لي ، يقول : لا إله إلا الله ، ويزعم أنه نبي !

قال : دلني عليه .. فدله .

وكان النبي .. ﷺ .. راقداً على دكان (شيء كالمصطبة) قد سدل ثوبه على وجهه ، فنبهه أبو ذر فانتبه عليه السلام .. فقال ابو ذر : انعم صباحاً .

فقال عليه السلام : عليك السلام .

قال أبو ذر : انشدني ما تقول .

فقال عليه السلام : ما أقول الشعر ، ولكنه القرآن ، وما أنا قلته ، ولكن الله قاله .

فقال أبو ذر : اقرأ علي .

فقرأ النبي .. ﷺ .. سورة من القرآن .

فقال أبو ذر : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله :

وسأله رسول الله .. ﷺ : ممن أنت ؟

فقال : من غفار .

فعجب النبي .. ﷺ لأنهم يقطعون الطريق ، وجعل يرفع بصره فيه ، ويصوبه ، تعجباً من ذلك ، لما كان يعلم منهم ثم قال : ان الله يهدي من يشاء وجاء أبو بكر ، فرأى أبا ذر ، فأخبره النبي بإسلامه .

فقال أبو بكر : ألست ضيفي أمس ؟!

فقال أبو ذر : بلى .

فقال أبو بكر : فانطلق معي .

فذهب مع أبي بكر إلى بيته ، فكساه ثوبين ممشقين .

فأقام أياماً . ثم رأى امرأة تطوف بالبيت ، وتدعو بأحسن دعاء في الأرض .

تقول : اعطي كذا وكذا ، ثم قالت في آخر ذلك : يا أساف ونائلة (صنمان مما كانت تعبد قريش) .

فقال أبو ذر مستهزئاً : انكحي أحدهما صاحبه !

فتعلقت به المرأة ، وقالت : أنت صابىء (خارج من دينه) .

فسمعها فتية من قريش ، فجاءوا فضربوه .

وجاء ناس من بني بكر فنصروه وقالوا : ما لصاحبنا يضرب ، وتتركون صباتكم ؟!

فتحاجزوا فيما بينهم .

وعاد أبو ذر إلى النبي .. ﷺ .. فقال : يا رسول الله ، أما قريش فلا أدعهم حتى أثأر منهم ، ضربوني !.

تلك هي الأقصوصة !.

انه جاء يفتش عن الرجل الذي يزعم أن .. لا إله إلا الله .

حتى إذا وجده .. كانت أعماقه تتفتح وتتفتح ... فما لبث أن صاح .. أشهد ان لا إله إلا الله .. وأشهد أن محمداً رسول الله .

ولم تكن .. لا إله إلا الله .. جديدة عليه .. فهو قد اهتدى اليهـا .. قبل أن يلقى محمداً .

وإنما الذي كان جديداً .. هو هذا الذي ينادي بها هو شخصية محمد .

ولقد اقتنع الرجل بالرجل .

فشهد فوراً .. انه حقاً .. رسول الله !

أبو ذر .. يروي القصة .. بنفسه

عن عبد الله بن الصامت قال : قال أبو ذر : وقد صليت يا ابن أخي قبل أن ألقى رسول الله ﷺ بثلاث سنين .

« قلت لمن ؟

« قال : لله .

« قلت : فأين توجه ؟

« قال : أتوجه حيث يوجهني ربي . أصلي عشاء ، حتى إذا كان من آخر الليل ، ألقيت كأني خفاء ، حتى تعلوني الشمس .

« فقال أنيس : ان لي حاجة بمكة ، فاكفني .

« فانطلق أنيس حتى أتى مكة ، فراث علي ، ثم جاء .

« فقلت : ما صنعت ؟

« قال لقيت رجلا بمكة على دينك ، يزعم أن الله أرسله !

« قلت : فما يقول الناس ؟

« قال : يقولون شاعر ، كاهن ، ساحر .

« وكان أنيس أحد الشعراء .

« قال أنيس : لقد سمعت قول الكهنة ، فما هو بقولهم ، ولقد وضعت قوله على اقراء الشعر ، فما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر ، والله انه لصادق ، وإنهم لكاذبون .

« قال : قلت : فاكفني حتى أذهب فأنظر .

« قال : فأتيت مكة ، فتضعفت رجلاً منهم ، فقلت : أين هـــذا الذي تدعونه الصابىء ؟

« فأشار إلي ، فقال : الصابىء ؟!

« فمال علي أهل الوادي ، بكل مدرة ، وعظم حتى خررت مغشياً علي .

« قال : فارتفعت حين ارتفعت كأني نصب أحمر .

« قال : فأتيت زمزم ، فغسلت عني الدماء ، وشربت من مائها .

« ولقد لبثت ، يا ابن أخي ، ثلاثين بين ليلة ويوم ما كان لي طعام إلا ماء زمزم ، فسمنت حـــتى تكسرت عكين بطني ، وما وجدت على كبدي سخفة جوع .

قال : فبينا أهل مكة في ليلة قمراء ، اضحيان ، إذ ضرب على اسمختهم ، فما يطوف بالبيت أحد .

« وامرأتان منهم تدعوان اسافا ونائلة .

« قال : فاتتا علي في طوافهما ، فقلت : انكحا أحدهما الأخرى !

« قال : فما تناهتا عن قولهما .

« قال : فاتتا علي ، فقلت : هن مثل الخشبة ، غير أني لا أكني .

« فانطلقتا تولولان وتقولان : لو كان ها هنا أحد من أنفارنا ؟

« قال : فاستقبلهما رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وهما هابطان .

« قال : مالكما ؟

« قالتا : الصابىء بين الكعبة وأستارها !

« قال : ما قال لكما ؟

« قالتا : إنه قال لنا كلمة تملأ الفم !

« وجاء رسول الله ﷺ حتى استلم الحجر ، وطاف بالبيت ، هو وصاحبه ، ثم صلى ، فلما قضى صلاته .

« قال أبو ذر : فكنت أنا أول من حياه بتحية الإسلام .

« قال : فقلت : السلام عليكم يا رسول الله .

« فقال : وعليك السلام ورحمة الله .

« ثم قال : من أنت ؟

« قال : قلت : من غفار .

« قال : فأهوى بيده ، فوضع أصابعه على جبهته .

« فقلت في نفسي : كره أن انتميت إلى غفار ؟ . فذهبت آخذ بيده ، فقدعني صاحبه ، وكان أعلم به مني .

« ثم رفع رأسه ، ثم قال : متى كنت ها هنا ؟

« قال : قلت : قد كنت ها هنا منذ ثلاثين ، بين ليلة ويوم .

« قال : فمن كان يطعمك ؟

« قال : قلت : ما كان لي طعام إلا ماء زمزم ، فسمنت حتى تكسرت عكن بطني ، وما أجد على كبدي سخفة جوع !

« قال : انها مباركة ، انها طعام طعم .

« فقال أبو بكر : يا رسول الله ، ائذن لي في طعامه الليلة .

« فانطلق رسول الله ﷺ وأبو بكر ، وانطلقت معهما .

« ففتح أبو بكر باباً ، فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف ، وكان ذلك أول طعام أكلته بها .

« ثم غبرت ما غبرت .

« ثم أتيت رسول الله ﷺ ، فقال قد وجهت لي أرض ذات نخل ، لا أراها إلا يثرب ، فهل أنت مبلغ عني قومك ، عسى الله أن ينفعهم بك ، ويأجرك فيهم ؟

« فأتيت أنيساً ، فقال : ما صنعت ؟

« قلت : صنعت اني قد أسلمت ، وصدقت .

« قال : ما بي رغبة عن دينك ، فإني قد أسلمت وصدقت .

« فأتينا أمنا ، فقالت : ما بي رغبة عن دينكما فإني قد أسلمت وصدقت .

« فاحتملنا ، حتى أتينا قومنا ، غفارا ، فأسلم نصفهم ، وكان يؤمهم ايماء بن رخصة الغفاري ، وكان سيدهم .

« وقال نصفهم : إذا قدم رسول الله ﷺ المدينة أسلمنا .

« فقدم رسول الله ﷺ المدينة فأسلم نصفهم الباقي .

« وجاءت أسلم فقالوا : يا رسول الله ، اخوتنا ، نسلم على الذي أسلموا عليه ؟

« فأسلموا .

« فقال رسول الله ﷺ : غفار غفر الله لها ، وأسلم سالمها الله » .

(أخرجه مسلم)

تلك هي القصة ، كما يقصها صاحبها ، وكما يسجلها الإمام مسلم في صحيحه الخالد .

واني أدعوك لنفهم معاً بعض غريبها ، بلغة تناسب عقولنا في هذه الأيام ، حتى إذا ما انقشعت تلك الغمامة عن ألفاظها ، بدت أمامنا فيلماً رائعاً من أروع أفلام الشاشة وأحلاها .

« ألقيت كأني خفاء » أي كساء ، أي ألقيت كأني ثوب مهلهل على الطريق .

« فراث علي » أي أبطأ .

« أقراء الشعر » أي طرقه وأنواعه .

« فتضعفت رجلاً منهم » أي اخترت أضعفهم فسألته .

« كأني نصب أحمر » كأنه تمثال مغطى بالدم .

« حتى تكسرت عكن بطني » أي انثنت لكثرة السمن وانطوت .

« ما وجدت على كبدي سخفة جوع » رقه الجوع وضعفه .

« في ليلة قمراء أضحيان » مقمرة طالع قمرها ، وأضحيان أي مضيئة .

« ضرب على أسمختهم » أي على آذانهم أي ناموا قال تعالى (فضربنا على آذانهم) أي أنمناهم .

« فما تناهتا عن قولهما » أي ما انتهتا عن قولهما بل دامتا عليه .

« كلمة تملأ الفم » أي عظيمة ، لا شيء أقبح منها ، لا يمكن ذكرها وحكايتها .

« فقد عني صاحبه » أي كفني .

« طعام طعم » أي تشبع شاربها كما يشبع الطعام .

« غبرت ما غبرت » أي بقيت ما بقيت .

« فاحتملنا » يعني حملنا أنفسنا ومتاعنا على ابلنا وسرنا .

تلك هي المفاهيم الحديثة ، لتلك الكلمات التي قد تبدو غريبة علينا في هذه الأيام .

وبعدها تبدو القصة مشرقة كالشمس ، بحسب الإنسان أن يقرأها ، فيدركها لأول وهلة .

وحين يتحدث أبو ذر عن نفسه ، ويحدثنا كيف أسلم ، وكيف أسلمت قبيلته ، يشعر الإنسان بجمال الصدق يترقرق من ذلك الإنسان العظيم !

أخاف عليك أن تقتل ؟!

روي عن أبي ذر قال :

أقمت مع رسول الله .. ﷺ .. بمكة ، فعلمني الإسلام .. وقرأت من القرآن شيئاً .

فقلت : يا رسول الله ، اني أريد أن أظهر ديني ؟

فقال رسول الله .. ﷺ .. اني أخاف عليك أن تقتل .

قلت : لا بد منه ، وإن قتلت . فسكت عنه النبي .. ﷺ .

فخرج أبو ذر على قريش ، يتحدثون في المسجد .

فقال : أشهد ألا إله إلا الله .. وأن محمداً رسول الله .

فانفضت الحلق ، فقاموا ، فضربوه .

فرجع إلى رسول الله .. ﷺ .

فلما رأى ما به قال له : ألم أنهك ؟

فقال : يا رسول الله ، كانت حاجة في نفسي فقضيتها .

هذا هو أبو ذر .

وهو شبيه في ذلك بعمر بن الخطاب .. حين أعلن قريشاً بإسلامه .. وشبيه بحمزة .. حين احتمله الغضب فأسلم .. فأعلن فوراً عن إسلامه .. وشج الذي عاب رسول الله .. ﷺ .. شجة منكرة !

نفوس ثائرة .. يتلظى الحق في أعماقها .

تريد أن تنفجر .. وتلقي بما في باطنها .. ليحرق الباطل حرقاً !

ولقد بقيت تلك الصفة النبيلة .. صفة الجرأة في الحق .. ملازمة للرجل الثائر طول حياته .. وهي هي التي دفعته دفعاً إلى الثورة فيما بعد .

روي أن العباس بن عبد المطلب ، لما رأى قريش تضرب أبا ذر ، أسرع اليه ، ومنعه منهم ، وقال : ويلكم ، ألستم تعلمون انه من غفار .. وطريق تجارتكم إلى الشام عليهم ؟!

وفي رواية .. انه قال لهم : يا معشر قريش، أنتم تجار، وطريقكم على غفار، أتريدون أن يقطع الطريق ؟!

عودة الفـــاتح ؟!

أقام أبو ذر .. إلى جوار رسول الله .. ﷺ .. ما شاء .. يرشف من سلسبيله .

ثم بدا له أن يعود الى قبيلته .

فقال لرسول الله : اني منصرف إلى أهلي ، وناظر متى يؤمر لك بالقتال ، فألحق بك ، فإني أرى قومك عليك جميعاً .

فقال له رسول الله .. ﷺ : أصبت فانصرف .

ان أبا ذر يتحرق الى القتال والنضال . لينتصر للفكرة من أعدائها .

ولكن الموقف لا يسمح بعد بقتال أو نضال !

وعند انصراف أبي ذر قال له رسول الله .. ﷺ : قد وجهت الى أرض ذات نخل ، لا أراها إلا يثرب ، فهل أنت مبلغ عني قومك ، عسى الله أن ينفعهم بك ، ويأجرك فيهم ؟

وعاد أبو ذر إلى قبيلته ، عودة الفاتح المنتصر .

عاد وقلبه قد انفسخ انفساخاً يسع الكون كله .

ما ان عاد الرجل إلى دياره .. حتى انطلق داعيـــاً إلى الله .. إلى الفكرة الجديدة .

دعا أخاه أنيساً إلى الإسلام فأجاب .

ودعا أمه فأسلمت .

وعرض الإسلام على قومه .. فاستجاب له بعضهم .. وجعلوا يتفتحون له شيئاً فشيئاً .

ثم جعل يذيق قريشاً .

فكان يعرض لعيرات قريش .. فيقتطعها فيقول : لا أرد لكم شيئاً منها حتى تشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

فإن فعلوا رد عليهم ما أخذ منها .. وإن أبوا لم يرد عليهم شيئاً !

وكلما أقبلت لقريش عير (جمال) يحملون الطعام .. ينفر بهم على ثنية الغزال .. فتنفر الإبل ، فتلقي أحمالها ، فيجمع قومه الحنطة ، فيقول لقومه : لا يمس أحدهم حبة حتى يقولوا لا إله إلا الله .. فيقولون لا إله إلا الله !

وزاد عدد من دخل الإسلام من قومه .. حتى بلغوا النصف .

وكان يؤمهم ايماء بن رحضة الغفاري ، وكان سيدهم .

أما نصفهم الآخر فقالوا: إذا قدم رسول الله المدينة أسلمنا.

فكان أبو ذر يسخر من آلهتهم !

لقد كان الرجل أمة وحده .

زعيماً في نفسه .. زعيماً في قومه .. زعيماً في الدعوة إلى الله !

أنت أبو .. نملة ؟!

ومضت الأيام .. ثم هاجر رسول الله .. ﷺ .. إلى المدينة .

وكانت بدر .. وأحد .. والخندق .

ثم قدم أبو ذر بعدها بقومه .. على صاحب الدعوة بالمدينة .

وكان رسول الله قد نسي اسم أبي ذر .. والذر اسم من أسماء النمل .

قالوا : فلما رآه النبي .. ﷺ .. وهم في اسمه .. فقال : أنت أبو نملة ؟

فقال أبو ذر : أنا أبو ذر فقال ﷺ : نعم أبو ذر .

وقدم أبو ذر قومه الى رسول الله .. ﷺ .. فأسلم نصفهم الباقي .

وجاءت أسلم فقالوا : يا رسول الله ، اخوتنا ، نسلم على الذي أسلموا عليه .. فأسلموا .

فقال رسول الله .. ﷺ : غفار غفر الله لها ، وأسلم سالمها الله .

ومنذ ذلك اليوم .. أقام أبو ذر بالمدينة .. مع رسول الله .. ولزمه حضراً وسفراً .

جليس رسول الله ؟!

قالوا : كان أبو ذر .. رضي الله .. للرسول .. ﷺ .. ملازماً وجليساً .. وعلى مسائلته والاقتباس منه حريصاً .

سأله عن الأصول والفروع .

وسأله عن الإيمان والإحسان .

وسأله عن رؤية ربه تعالى .

وسأله عن كل شيء ، حتى مس الحصا في الصلاة !

ان الرجل يبحث عن الحقيقة .. في أعلى أعاليها .

انه شخصية رفيعة .. تريد أن تدرك سر كل شيء .

وأعلى المقامات من كل مقام .

لترسم لنفسها منهاجاً رفيعاً .. تلتزمه في حياتها كلها .

وإلى كل إنسان يبحث عن الحقيقة في هذه الحياة .. نقدم نماذج من أسئلة الرجل .. وإجابات رسول الله .. ﷺ عليها .

الأسئلة الخالدة ؟!

أبو ذر — ما الصلاة ؟

الرسول — خير موضوع .. استكثر أو استقل .

أبو ذر — أي الصلاة أفضل ؟

الرسول — القنوت .

أبو ذر — ما الصيام ؟

الرسول — فرض مجزى ، وعند الله أضعاف كثيرة .

أبو ذر — أي الصدقة أفضل ؟

الرسول — جهد من مقل ، يسر الى فقير .

أبو ذر — أي الأعمال أفضل ؟

الرسول — ايمان بالله عز وجل ، وجهاد في سبيله .

أبو ذر — أي الهجرة أفضل ؟

الرسول — من هجر السيئات .

أبو ذر — أي المؤمنين أكملهم إيماناً ؟

الرسول — أحسنهم خُلقاً .

أبو ذر — أي المؤمنين أسلم ؟

الرسول — من سلم الناس من لسانه ويده .

أبو ذر — أي آية مما أنزل الله عليك أعظم ؟

الرسول — آية الكرسي .

يا أبا ذر ، ما السماوات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة .

أبو ذر — كم الأنبياء ؟

الرسول — مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً .

أبو ذر — كم الرسل ؟

الرسول — ثلاثمائة وثلاثة عشر ، جماً غفيراً .

أبو ذر — كم كتاب أنزله الله تعالى ؟

الرسول — مائة كتاب وأربعة .

أنزل على شيث خمسون صحيفة ، وأنزل على خنوع ثلاثون صحيفة ، وأنزل على ابراهيم عشر صحائف ، وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف ، وأنزل التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والفرقان .

أبو ذر — يا رسول الله ، ما كانت صحف ابراهيم ؟

الرسول — كانت أمثالاً كلها .

أيها الملك المسلط المبتلي المغرور . اني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها إلى بعض ، ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم ، فإني لا أردها ولو كانت من كافر .

وكان فيها أمثال :

على العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله ، أن تكون له ساعات ، ساعة

يناجي فيها ربه عز وجل ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يفكر فيها في صنع الله عز وجل ، وساعة يخلو فيها بحاجته من المطعم والمشرب .

وعلى العاقل ألا يكون ظاعناً إلا لثلاث ، تزود لمعاد ، أو مرمة لمعاش ، أو لذة في غير محرم .

وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه ، مقبلاً على شأنه ، حافظاً للسانه . ومن حسب كلامه من عمله ، قل كلامه فيما لا يعنيه .

أبو ذر — يا رسول الله أوصني .

رسول الله — أوصيك بتقوى الله ، فإنه رأس الأمر كله .

أبو ذر — يا رسول الله ، زدني .

رسول الله — عليك بتلاوة القرآن ، فإنه نور لك في الأرض ، وذكر لك في السماء .

أبو ذر — يا رسول الله ، زدني .

رسول الله — عليك بالصمت ، إلا من خير ، فإنه مطردة للشيطان عنك ، وعون لك على دينك .

أبو ذر — يا رسول الله ، زدني .

رسول الله — عليك بالجهاد ، فإنه رهبانية أمتي .

أبو ذر — يا رسول الله ، زدني .

رسول الله — حب المساكين وجالسهم .

أبو ذر — يا رسول الله ، زدني .

رسول الله — انظر إلى من تحتك ، ولا تنظر إلى من فوقك ، فإنه أجدر ألا تزدري نعم الله عندك .

أبو ذر — يا رسول الله ، زدني .

رسول الله — صل قرابتك وإن قطعوك .

أبو ذر — يا رسول الله ، زدني .

رسول الله — لا تخف في الله لومة لائم .

أبو ذر — يا رسول الله ، زدني .

رسول الله — قل الحق وإن كان مراً .

أبو ذر — يا رسول الله ، زدني .

رسول الله — يردك عن النـــاس ما تعرف من نفسك ، ولا تجد عليهم فيما تأتي .

قال أبو ذر :

ثم ضرب بيده على صدري فقال :

« يا أبا ذر .

« لا عقل كالتدبير .

« ولا ورع كالكف .

« ولا حسب كحسن الخلق » .

أبو ذر — هل في الدنيا شيء مما أنزل عليك ، كان في صحف ابراهيم وموسى؟

رسول الله — يا أبا ذر ، اقرأ :

قد أفلح من تزكى .

وذكر اسم ربه فصلى .

بل تؤثرون الحياة الدنيا .

والآخرة خير وأبقى .

ان هذا لفي الصحف الأولى .

صحف ابراهيم وموسى .

* * *

هذه هي الأسئلة الخالدة .

وتلك هي الإجابات .. الخالدات .. الباقيات .. الشريفات !

ما هذا ؟!.

هذه بحار .. من أنوار .. وأسرار .. من أغوار .. لا أول لهـــا .. ولا آخر .. نلتقط منها كلمة .. في مفاهيم هذا الكتاب .

جهد من مقل ؟!

شيء ما .. من مال ما .. حصل عليه إنسان ما .. بعد جهد وعرق وكدح.

انسان مقل .. قليل المال .. فقير الحال .. يسر إلى فقير ؟!

في خفاء عن كل الناس .. يقدم المتصدق الفقير .. صدقته التي هو في أشد الحاجة اليها .. إلى فقير آخر !.

تحديد .. وتجديد .

تحديد المنهج .. وتجديد للنفس البشرية لتندفع إلى أقصى طاقاتها .. نحو أعلى غاياتها .

ومن هنا ندرك شيئاً .. عن عظمة أبي ذر .. التي تلقاها رأساً من رسول الله .. ﷺ .

الوصايا .. السبع ؟!.

قال أبو ذر :

« أوصاني خليلي بسبع .

« أمرني بحب المساكين ، والدنو منهم .

« وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني ، ولا أنظر إلى من هو فوقي .

« وأمرني الا اسأل احداً شيئاً .

« وأمرني أن أصل الرحم وإن أزبرت (أغضبت) .

وأمرني أن أقول الحق ، وإن كان مراً .

« وأمرني ألا أخاف في الله لومة لائم .

« وأمرني أن أكثر من لا حـــول ولا قوة إلا بالله ، فإنهن من كنز تحت العرش » .

ما هذا ؟!

ذلك هو المنهج الذي رسمه .. رسول الله .. ﷺ لصاحبه .. وجليسه .. وملازمه .. أبي ذر .. رضي الله عنه .

وأي شيء من معالي الأمور .. يبقى بعدها ؟!

لا شيء .. الا أن تكون أخلاق النبوة .. وهذا شأن لا يلحق !.

ومرة أخرى نقول .. لو أن وصية واحدة أخذت .. فدرست .. وعمل بها .. لأسعدت الناس جميعاً !.

اشعاع .. اشتراكي ؟!

وقال أبو ذر :

ان خليلي عهد الي ، أن أي مال ، ذهب أو فضة ، أوكي عليه ، فهو جمر على صاحبه ، حتى يفرغه في سبيل الله .

أي مال ؟. أوكي عليه .. شـــد عليه رباطه .. أو حبس عن الإنفاق في الخـــير .

فهو جمر على صاحبه حـــتى يفرغه في سبيل الله ؟. فهو عذاب يعذب به صاحبه في الدنيا ، وفي الآخرة .. حتى يفرغه.. حتى ينفقه ، في طريق الخير.. الذي ينفع الناس .

اشعاع .. خطير ؟!

وقال أبو ذر :

ان خليلي عهد الي ، أن دون جسر جهنم طريقا ذا دحض (زلق تزلق فيه الأقدام) ومزلة ، وإنا نأتي عليه وفي أحمالنا اقتدار ، أحرى أن ننجو من أن نأتي عليه ونحن مواقير (ذوو أحمال ثقيلة) .

اشعاع آخر .. في بنيان الرجل .

انه يريد أن يتجنب الانزلاق إلى جهنم يوم القيامة .. وأن يكون خفيف الحمل .. فذلك أحرى ألا ينزلق .. وإلا يدخل النار !

أي ان الإقلال من الدنيا .. من المال .. أرجى للنجاة في الآخرة !

يا .. أبا ذر ؟!

وقال أبو ذر :

قال لي رسول الله .. ﷺ :

« يا أبا ذر .

« اني لأعلم آية .

« لو أخذ بها الناس لكفتهم .

« (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب) .

« فما زال يقولها ، ويعيدها علي » .

مذهب اقتصادي كامل .

ينقله أبو ذر .. عن رسول الله .. ﷺ .

آية .. لو أخذ بها الناس لكفتهم ؟!

وما زال يقولها .. ويعيدها علي ؟!

ومن يتق الله ؟! ومن يأتمر بأوامره .. وينتهي عن نواهيه .

يجعل له مخرجاً ؟! حتما يكون هذا .

أوتوماتيك .. جزاء !.

لا بد أن يجعل الله له مخرجـــاً .. من كل ضيق نفسي .. ومادي .. ودنيوي .. وأخروي !

ثم ماذا ؟!

« ويرزقه من حيث لا يحتسب » .. من حيث لا يتوقع .

أوتوماتيك .. جزاء .

حتما يقع هذا .. إذا وقع الشرط !.

وأعطى رسول الله ذلك السر .. إلى أبي ذر .. وما زال يعيده عليه .. ليستقر في بنيانه .

ولقد أسس أبو ذر .. بنيانه على التقوى .

وكانت تلك الآية .. أصلاً في تكوين شخصيته الشاهقة !.

قمة ؟!

كان عظيماً .. وإماماً عالياً .

اختصه رسول الله .. ﷺ .. بعلم وتعليم يناسب جـــلال منزلته وعمق تفكيره .

شهد له بذلك .. علي بن أبي طالب .. وما أدراك ما الإمام علي ؟!

فقال عنه :

« وعى أبو ذر علماً ، عجز الناس عنه .

« ثم أوكأ عليه .

« فلم يخرج منه شيئاً !.

وقالوا فيه :

كان أبو ذر يوازي عبد الله بن مسعود في العلم !

وقال أبو ذر .. عن أبي ذر :

« لقد تركنا رسول الله .. ﷺ .

« وما يحرك طائر جناحيه في السماء .

« إلا ذكرنا منه علماً » !.

الله أكبر .

انها مرتبة الكشف !.

كشف الأسرار العليا !.

روى عنه العلم .. كثيرون من الصحابة والتابعين !.

لقد كان الرجل عظيما .. في عصره .. يعترف بتلك العظمة .. العلماء .. والجماهير على سواء !.

زوجة البطل .. تتحدث عن البطل ؟!

قدم رجل من أهل البصرة .. حتى لقي أم ذر .. فسألها عن عبادة زوجها .. فقالت :

كان النهار أجمع خالياً .. في ناحية يتفكر !.

هذه هي الصورة التي صورتها الزوجة لزوجها .

رجل دائم التفكر .

يحب الوحدة والتوحد .. وهذا معنى « خالياً » .

فهل كان فيلسوفاً ؟!

بل سيد الفلاسفة .. وإمام الحكماء ؟.

ذلك أنه ذرة .. من نور .. رسول الله .. ﷺ .. فأين .. من أين ؟!

العملاق الأسمر ؟!

قالوا : كان أبو ذر طويلا .. أسمر اللون .. نحيفاً .

وإذا ما تذكرنا أن الرجل كان فارساً .. لا يجاري ولا يباري .

وأن باطنه كان يغلي بالحق .. ويتفجر بالنور .

أدركنا على الفور .. اننـــا أمام بطل عملاق .. رائع الشخصية .. مهيب الطلعة .

أدركنا أننا أمام قائد ثورة .. بكل ما تستلزمه قيادة الثورة .. من إقدام وشجاعة .. وانفجار !.

الوسام الأعلى ؟!

قال رسول الله .. ﷺ .. يوماً لصحابته :

« أيكم يلقاني على الحال التي أفارقه عليها » ؟

فقال أبو ذر : أنا .. يا رسول الله .

فقال عليه الصلاة والسلام :

« صدقت » .

ثم التفت إلى أصحابه فقال :

« ما أظلت الخضراء .

« ولا أقلت الغبراء .

« من ذي لهجة .

« أصدق ، ولا أوفى .

« من أبي ذر .

« من سره أن ينظر إلى زهد عيسى بن مريم .

« فلينظر الى أبي ذر » .

أي رجل .. كان ذلك الرجل ؟

لقد ظفر بالوسام الأعلى !.

لا يوجد تحت السماء .

ولا فوق الأرض .

أصدق .. من أبي ذر !.

انظر .. إلى أبي ذر ؟!

ويرفعه رسول الله .. ﷺ .. مرة أخرى .. أمام البشرية كلها .

من سره .. أن ينظر .. إلى زهد عيسى بن مريم .. فلينظر إلى أبي ذر ؟!

كأنه المسيح .. عليه السلام .. يتلالى .. مرة أخرى !.

يرفض توجيه زوجته ؟!

عن أبي أسماء الرحبي قال :

« دخلت على أبي ذر وهو بالربذة (ضاحية على ثلاثة أميال من المدينة) .

« وعنده امرأة له سوداء ، شعثة ، ليس عليها أثر المجاسد (ثياب الزينة) ولا الخلوق (الطيّب) .

« فقال : ألا تنظرون إلى ما تأمرني به هذه السوداء ؟! تأمرني أن آتي العراق .. فإذا أتيت العراق مالوا علي بدنياهم .

« الا وإن خليلي عهد إلي أن ادون جسر جهنم طريقاً ذا دحض (زلق تزلق فيه الأقدام) ومزلة .

« واما ان نأتي عليه وفي أحمالنا اقتدار ، أحرى أن ننجو ، من أن نأتي عليه ونحن مواقير « ذوو أحمال ثقيلة » .

وفشلت زوجته .. أن تدفعه إلى شيء مما تريد !

وثبت الرجل .. ثبات الجبال على مبادئه العليا !.

يكفيني كل يوم شربة لبن ؟!

قيل لأبي ذر .. ذات يوم : ألا تتخذ ضيعة ، كما اتخذ فلان وفلان ؟

فقال : وما أصنع بأن أكون أميراً ؟!

« وإنما يكفيني كل يوم شربة لبن .

« وفي الجمعة قفيز (كيلة) من قمح » !.

روعة جديدة .

هذه هي حاجات أبي ذر اليومية .

شربة لبن .. وحفنة قمح !.

هذا هو حد الكفاية ، الذي التزمه الرجل !.

وفي هذا يقول أبو ذر :

« كان قوتي ، على عهد رسول الله .. ﷺ .. صاعاً .

« فلا أزيد عليه ، حتى ألقى الله عز وجل » !.

السمراء .. التي يحبها ؟!

وقيل له : لو اتخذت امرأة غير هذه ؟

فقال : لأن أتزوج امرأة تضعني ، أحب الي من أن أتزوج امرأة ترفعني.

مذهب رفيع رفيع .

فوق ما يطيق البشر !.

وهذا فراش .. أبي ذر ؟!

قال عبد الله بن خراش :

« دخلت على أبي ذر بالربذة ، في ظلة (خيمة) له .

« وتحته امرأة له سمراء .

« وهو جالس على قطعة جوالق (غرارة) .

« فقيل له : لو اتخذت بساطاً ألين من هذا ؟

« فقال : اللهم غفرا ، خذ مما خولت ما بدا لك » .

ما أروع المشهد .. يا أبا ذر ؟!

ضيف يأتيك .. فيجدك في خيمة بسيطة .. تجلس على قطعة من (خيش) .

فإذا قيل لك .. اتخذ بساطاً ألين .. قلت : اللهم غفرا !.

كأنك ارتكبت ذنباً عظيماً .

ولكنها المقامات .. تتسامى بك إلى ما هو أعلى وأرقى .

أخاف أن احاسب على الفضل

عن عطاء بن أبي مروان قال :

« رأيت أبا ذر في نمرة ، مؤتزراً بها ، قائماً يصلي .

« فقلت : يا أبا ذر ، أما لك ثوب غير هذه النمرة ؟

« قال : لو كان لي لرأيته لي .

« قلت : فإني رأيت عليك من أيام ثوبين ؟

« فقال : يا ابن أخي ، أعطيتها من هو أحوج اليهما مني .

« قلت : والله انك لمحتاج اليهما ؟

فقال : اللهم غفرا ، انك لمعظم للدنيا !

« أليس ترى علي هذه البردة ، ولي أخرى للمسجد ، ولي أعنز نحلبها ، ولي أحمر نحتمل عليها ميرتنا ، وعندنا من يخدمنا ويكفينا مهنة طعامنا ، فأي نعمة أفضل مما نحن فيه » ؟

وفي رواية . .

« عندنا أعنز نحلبهـــا ، وحمر تنقل ، ومحررة تخدمنا ، وفضل عباءة عن كسوتنا .

« وإني أخاف أن أحاسب على الفضل » .

وفي رواية . .

« لنا ظل (خباء) نتوارى به ، وثلة من غنم تروح علينا ، ومولاة (رقيقة كانت عنده فأعتقها فلزمته تخدمه) لنـــا تصدقت علينا بالخدمة ، ثم اني لأتخوف الفضل » ! .

يرى أبو ذر . . أنه في أعظم نعمة ؟!

لمـــاذا ؟ !

لأنه يملك جلبابين اثنين .

واحدة لكل الحياة . . ليلا ونهاراً . . وأخرى يلبسها للمسجد .

وإني لاتخوف الفضل ؟.

أي زيادة تلك التي يخافهـا ؟!

« فضل عباءة عن كسوتنا » .

ان الرجل يعتبر وجود عباءة ثانية عنده . . علاوة على الجلباب الذي يلازم جسده . . يعتبر امتلاكه لثوبين . . زيادة سوف يحاسب عليها ؟.

يا أبا ذر . .

يا من سموت . . حتى أعجزتنا أن نتطلع إلى سموك .

قف . قليلا . . لتسمع البشرية . . إلى اغرودتك الخالدة .

اني أخاف أن أحاسب على الفضل !.

صاحب المنزل .. لا يدعنا فيه ؟!

روى ابن الجوزي :

« ان رجلا دخل عليه ، فلم يجد شيئاً من متاع !.

« فجعل يقلب بصره في البيت ، ثم قال :

« يا أبا ذر ، أين متاعكم ؟

« فقال : لنا بيت نوجه اليه صالح متاعنا .

« فقال الرجل : انه لا بد لك من متاع ، ما دمت هنا ؟

« فقال أبو ذر : صاحب المنزل ، لا يدعنا فيه » !

اقصوصة بسيطة .. إلا أنها خطيرة .. غاية الخطورة !.

هنالك .. ذابت من زائر أبي ذر .. أوهامه .

وأيقن أنه أمام .. عملاق الحقيقة .

عملاق .. يتكلم من الأفق الأعلى !.

اني اقربكم مجلساً .. من رسول الله ؟!

أعلن أبو ذر بين أصحابه :

« اني أقربكم مجلساً ، من رسول الله .. ﷺ .. يوم القيامة .

« وذلك اني سمعته يقول :

« ان أقربكم مني مجلساً ، من خرج من الدنيا ، كهيئته يوم تركته فيها » .

« وانه والله ما منكم من أحد الا وقد تشبث بشيء منها « غيري » !.

وهكذا نجح .. عملاق الحقيقة .

أما باطنه .. فعلى نفس النقاء .. الذي كان عليه .. وهو يصحب رسول الله .. ﷺ .

وأما ظاهره .. مستوى معيشته .. ملبسه .. كلامه .. أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر .. فهو هو .. لا تبديل ولا تغيير !.

وما له ألا يفعل ؟!

وقد وعد رسول الله .. ﷺ .. أن يلقاه على الهيئة .. التي فارقه عليها ؟.

ومن أوفى بعهده من أبي ذر ؟!

يا ابن اليهودية ؟!

دخل أبو ذر مرة على عثمان ، وعنده كعب الأحبار .

فقال أبو ذر : « لا ترضوا من الأغنياء بكف الأذى .

« حتى يبذلوا المعروف .

« ويحسنوا الى الجيران .

« والإخوان .

« ويصلوا القرابات .

« فقال كعب الأحبار ، من أدى الفريضة (الزكاة) فقد قضى ما عليه .

« فغضب أبو ذر ، ورفع بمحجنه (عصاه) فضرب به كعب الأحبار فشجه .

« وقال : يا ابن اليهودية .. ما لك وما ها هنا » ؟!

وهنا ثار أبو ذر ثورة لا تقاومها الجبـــال ، وهوى بعصاه على رأس كعب الأحبار !.

ان أبا ذر .. يرى أن الأغنياء ملومون بأشياء وراء الزكاة المفروضة .

ملزمون بإنفاق أموالهم .. فيما يحتاجه المجتمع الذي يعيشون فيه .

كان أبو ذر رجلاً شاهقاً .

يريد أن يشد الناس إلى أعلى .

وكان كعب الأحبار رجل القاعدة الجماهيرية .. يريد أن يلزم سياسة الأمر الواقع .. فلا شيء على الناس .. بعد الزكاة !.

حملت الآجر .. على أعناق الرجال ؟!

مر أبو ذر ، بأبي الدرداء ، وهو يبني بيتاً له .

فقال : « حملت الآجر على أعناق الرجال » ؟

فقال أبو الدرداء : انما هو بيت أبنيه .

فكرر عليه أبو ذر كلمته السابقة في غلظة .. حملت الآجر على أعنـــاق الرجال .. حملت الآجر على أعناق الرجال ؟!

فقال أبو الدرداء : يا أخي لعلك وجـــدت (غضبت) علي ، في نفسك من ذلك ؟

فقال أبو ذر :

« لو مررت بك في عذرة (غائط) أهلك .

« كانت أحب إلي مما رأيتك فيه » !.

أبو ذر .. يرى أن بناء أبي الدرداء .. منزلاً من الطوب الأحمر .. ونقل الرجال ذلك الطوب على أعناقهم .. جريمة كبرى .

وإحدى الكبر .. من أبي الدرداء .. صاحب رسول الله .. ﷺ .

لقد كان الرجل .. يحلق في سماء السماء !.

لست بأخيك

قدم أبو موسى الأشعري من البصرة ، وكان حاكماً عليها .

فأقبل على أبي ذر يحتضنه ويقول : مرحباً بأخي .

فجعل أبو ذر يدفعه عن نفسه ويقول : اليك عني ، لست بأخيك ، انما كنت أخاك قبل أن تستعمل .

ان أبا ذر .. يرى أن أخاه .. لم يعد أخاه .. لقد أصـــابه ما يصيب أصحاب المناصب .

لقيه أبو هريرة ، فاحتضنه ، وقال له : مرحباً بأخي .

فسأله أبو ذر : هل تطاولت في البنيان ؟

قال : لا .

قال أبو ذر : أنت أخي ، أنت أخي .

انه يريد .. رجالاً .. في القمة دائماً .

ما ترك لي .. الحق صديقاً ؟!

كان يقول :

هل ترى الناس ؟. ما أكثرهم .. ما فيهم خير .. الا تقي .. أو تائب .

لقد كان الرجل ينظر .. من الأفق الأعلى .. فيرى الناس صغاراً .

لاحظ أحد الأغنياء .. ان الأغنياء يهابون أبا ذر .. ويتفرقون عنه إذا جلس اليهم .. فقال له :

يا أبا ذر ، ما لك إذا جلست الى قوم ، قاموا وتركوك ؟

فقال أبو ذر : « اني أنهاهم عن كنز المال » .

هذا هو سر تفرق الأغنياء عن الرجل .

انه يسلط عليهم شعاعه .

فتبدوا حقائقهم عارية .

انهم يفرون منه فراراً .

لقد كان الرجل عملاقاً .. يقف فوق قمة جبل الحقيقة .

ينادي الناس جميعاً .. هذا حق .. وهذا باطل .

وكلما ازداد صراخه .. ازداد الأغنياء منه نفوراً .. وازداد الفقراء عليه إقبالاً .

ولقد دفع الرجل الثمن .. من طاقاته التي صبها في سبيل الله كلها .

ولقد عبر الرجل عن حاله فقال :

« ما زال بي الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، حتى ما ترك لي الحق صديقاً » .

لقد كان الرجل يعيش في وحدة .

وحدة عن مجتمعه .. لأنه ينادي نداءً غريباً عليه .

وحدة عن أصدقائه .. لأنه يريد أن يرتفع بهم إلى أعلى .

وحدة عن عصره .. لأنه يريد أن يرده الى مفاهيم عصر رسول الله .. ﷺ .

وحدة عن زوجته .. فهي تريده أن يلتفت الى دنياه شيئـــاً ما .. وهو لا يريد الدنيا على الإطلاق .

ولعل هذا كله .. يشير إلى معنى قوله .. ﷺ .

« يرحم الله أبا ذر .

« يعيش وحده .

« ويموت وحده .

« ويبعث وحده » !.

يعيش وحده ؟!

انها الوحدة .. التي يصلاها الدعاة إلى الحق .

ولقد رأيت ماذا أصاب أبا ذر .

وكيف كان غريباً ؟

فطوبى للغرباء .

ولقد دخل الفاروق .. رضي الله عنه .. نفس البحر .. الذي يدخله أبو ذر الآن .. بحر الحقيقة .

وحق فيه .. ما حق في أبي ذر .

وقال فيه رسول الله .. ﷺ :

« رحم الله عمر .

« يقول الحق ولو كان مراً .

« تركه الحق وما له من صديق » .

وانها لمفخرة كبرى .. أن يلتقي أبو ذر .. وعمر في نفس الموجة .. موجة الغربة في سبيل الله .. وإعلان الحق .

انظر إلى وسام الشرف .. في أبي ذر .. « يرحم الله أبا ذر، يعيش وحده » .

وفي عمر .. « رحم الله عمر .. تركه الحق وما له من صديق » .

شرف .. عظيم عظيم !.

قال علي : « لم يبق أحد، لا يبالي في الله لومة لائم .

« غير أبي ذر .

« ولا نفسي .

« وأشار إلى صدره » !.

وما أدراك ما علي .. اذا شهد .. في أبي ذر !

وإنه لذو علم ؟!

سئل علي عن أبي ذر فقال :

« ذاك رجل .

« وعى علماً .

« عجز عنه الناس .

« ثم أوكأ عليه .

« فلم يخرج منه شيئاً » .

ما معنى هذا ؟.

معناه أن أبا ذر .. وعى عن رسول الله .. ﷺ .. علماً يناسب مقامه هو ولا يناسب عموم الناس .

فليس كل الناس أبا ذر .

وليس كل الناس يستطيع أن يحلق تحليق أبي ذر .

« ثم أوكأ عليه فلم يخرج منه شيئاً .

« لأن الرجل يدرك ببصيرته الشمشمانية .. أن ليس كل الناس يصلحون للاستماع إلى ذلك العلم .

وأن ليس كل الناس .. وإن صلحوا للاستماع اليه .. يفهمون شيئاً مما سمعوا .

لقد اختصه رسول الله .. ﷺ .. بعلم يناسبه .. ولا يناسب غيره .

وكيف يعلن الرجل إلى الناس شيئاً .. ليس في استطاعتهم إدراكه ؟!

وسوف نرى كيف أن أبا ذر .. حين أعلن اليهم شيئاً من علمه .. في مشكلة الأموال والأغنياء .. اهتزوا اهتزازاً عنيفاً .

كن .. أبا ذر ؟!

في السنة التاسعة من الهجرة .

خرج رسول الله .. ﷺ .. إلى غزوة تبوك

وجعل أناس يتخلفون عن رسول الله .. ﷺ .. فكان من معه يقولون : يا رسول الله ، تخلف فلان .

فيقول ﷺ : ان يكن فيه خير ، فسيلحقه الله بكم ، وان يكن غير ذلك فقد أراحكم الله منه .

وكان لأبي ذر بعير ضعيف هزيل ، لم يستقل بحمله وحمل زاده ومتاعه معه ، فتخلف عن رسول الله .. ﷺ .

فلما رآه أبو ذر غير مسلفه ، نزل عنه وتركه ، وحمل زاده ومتاعه على ظهره .

وسار ماشياً على قدميه ، في حر صيف محرق ، في صحراء لا يحتمل لظاها ، حتى أشرف على الركب من بعيد نصف النهار ، وقد بلغ منه الظمأ .

فنظر ناظر من المسلمين فقال : ان هـــذا الرجل يمشي على الطريق فقال رسول الله .. ﷺ :

« كن أبا ذر » .

فلم يكن إلا قليل ، حتى قال الناس : يا رسول الله ، هو والله أبو ذر !

فرقّ له رسول الله .. ﷺ .. رقة عظيمة ، وقال :

« يرحم الله أبا ذر .

« يعيش وحده .

« ويموت وحده .

« ويبعث وحده » .

فلما بلغهم أبو ذر .. آواه رسول الله .. ﷺ .. اليه .

وقال له :

« مرحباً بأبي ذر .. يمشي وحده .. ويموت وحده .. ويبعث وحده .. ما خلفك » ؟

فأجابه أبو ذر ، بما كان من بعيره .

فقال عليه الصلاة والسلام :

« ان كنت لمن أعز أهلي علي تخلفاً .

« لقد غفر الله لك بكل خطوة ذنباً .

« إلى أن بلغتني » !.

يا لها من أقصوصة !.

ان رسول الله .. ﷺ .. يعلن إلى العالم كله .. إلى يوم القيامة .. ما كان وما سيكون .. من أمر أبي ذر !.

وكانت منه .. ﷺ .. آية !.

أعلن أنه يعيش وحده .

وقد كان .. عاش الرجل وحده في مجتمعه .. وعاش وحده في أفكاره .

ويموت وحده .. وقد كان ذلك كذلك .. مات الرجل وحيداً .. حين حضرته الوفاة !.

ويبعث وحده .. وسوف يبعث الرجل يوم القيامة وحده .. يبعث إماماً .. عملاقاً من عمالقة النور .. له مقام وحده !.

انهـا النبوة !.

ترى ما شاء الله .. من الغيوب !.

لقد كان .. ﷺ .. يعلم من هو أبو زر .

« ان كنت لمن أعز أهلي علي » .

لقد كان ﷺ .. في شوق إلى صاحبه .

عن أبي الدرداء .. أن رسول الله .. ﷺ .. كان يبتدىء أبا ذر إذا حضر ويفتقده إذا غاب .

ان رسول الله .. ﷺ .. خير من يعرف أقدار الرجال !

أبو ذر .. والمناصب العامة ؟!

عن أبي ذر قال :

« قلت : يا رسول الله ، ألا تستعملني ؟

« قال : فضرب بيده على منكبي ، ثم قال :

« يا أبا ذر ، انك ضعيف .

وإنها أمانة .

« وإنها يوم القيامة خزي وندامة .

« الا من أخذها بحقها ، وأدى الذي عليه فيها » .

وعن أبي ذر ، أن رسول الله .. ﷺ .. قال :

« يا أبا ذر ، اني أراك ضعيفاً .

« واني أحب لك ما أحب لنفسي .

« لا تأمرن على اثنين .

« ولا تولين مال يتيم » .

[اخرجهما مسلم]

وقال له عليه الصلاة والسلام مرة :

« كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يستأثرون بالفيء ؟

« فقال أبو ذر : إذا والذي بعثك بالحق ، اضرب بسيفي حق ألحق بك .

« فقال عليه الصلاة والسلام : أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك ؟ اصبر حتى تلقاني .

وذكر له ﷺ ان أمراءه يوماً ما سيضيقون به .

فقال : يا رسول الله ، أفلا أقاتل من يحول بيني وبين أمرك ؟

فقال ﷺ : لا .

قال : فما تأمرني ؟

فقال ﷺ : اسمع وأطع ، ولو لعبد حبشي .

تلك هي النصوص .

والسؤال الآن : لماذا منع رسول الله .. ﷺ أبا ذر .. من تولي المناصب العامة ؟!

لماذا أمره ألا يتأمر على اثنين ؟

وألا يتولى مال يتيم ؟

لأن أسلوب أبي ذر لا يصلح لحكم الجماهير !. انه أسلوب يصلح لحكم فئة محدودة .. هم الذروة المؤمنة .. الذين يريدون .. التقرب إلى الله ما استطاعوا.

بينما أغلبية الشعوب لا تطيق ذلك السمو الشاهق .. ولا تستطيع .

فمن الحتم أن يكون الضعيف أمير الركب .

وأن تكون خطوات التقدم بالأمة على قدر خطوات الضعيف .

أما الصفوة .. طبقة الذروة .. فهم وشأنهم .. يمكنهم أن يرتفعوا وحدهم ولا يرهقوا الجماهير بعزائمهم الخارقة .

لذلك أعلن اليه رسول الله .. ﷺ .. « انك ضعيف » .

ان أمانة الحكم ، والقدرة على قيادة الجماهير ، تضعف أنت يا أبا ذر عن احتمالها ، والصبر عليها :

ان أعصابك لا تطيق أن ترى تهاوناً في عزائم الأمور .

فإذا وضعت السلطة في يدك ، فقد تستعملها في ارغام الناس على مذهبك في الحياة ، وهذا أمر يؤدي الى فتنة الضعفاء !

لقد رسم له .. ﷺ .. تخطيطاً فيه الخير لأبي ذر .. وفيه صلاح المجتمع الذي سيعيش فيه .

رسم له أن يبتعد نهائياً عن الإمارة .. عن القيادة .. حتى ولو كانت على اثنين .

ورسم له أن يبتعد عن تولي مال اليتيم .. على ما كان عليه من نزاهة تامة .

ورسم له أن يصبر .. ولا يضرب بالسيف إذا رأى الأمراء يتصرفون في الأموال العامة تصرفاً لا يرضيه .

ورسم له ألا يقاتل من يحول بينه وبين أوامر رسول الله .

ولما سأله ماذا يصنع إذا .. أمره أن يسمع وأن يطيع ولو لعبد حبشي !

وتلك عظمة النبوة .. وجلالها .. في توجيه النفوس .

لم يعلمه انه لا يصلح للقيادة .. وكفى .

ولكن رسم له الطريق الذي يصلح له أن يسلكه .

لماذا كان من أبي ذر ؟

هل نفذ أوامر رسول الله .. ﷺ ؟.

نعم .. وفي إخـــلاص .. وفي حب .. وفي وفاء لرسول الله .. ﷺ .. ليس بعده وفاء !

فكيف كان ذلك ؟

لو ان عثمان صلبني .. لسمعت وأطعت ؟!

غادر أبو ذر المدينة ، مقر أمير المؤمنين عثمان بن عفان .. الى الربذة .. وهي ضاحية المدينة بالصحراء .

وجاءه ناس من الثائرين على عثمان ، وقالوا له : فعل بك هذا الرجل وفعل فهل أنت ناصب لنا راية .. فلنكمل برجال ما شئت ؟

فقال لهم : يا أهل الإسلام ، لا تعرضوا علي ذاكم .

« ولا تذلوا السلطان ، فإنه من أذل السلطان فلا توبة له .

« والله لو ان عثمان صلبني على أطول خشبة .

« لسمعت وأطعت .

« وصبرت واحتسبت ، ورأيت ان ذلك خير لي » .

موقف كريم !.

يعارض الرجل معارضة من يريد الإصلاح .. فإذا أدت المعارضة إلى الشقاق أحجم .. وحسبه ان بذل النصح .. أخذ رئيس الدولة برأيه أم لم يأخذ .

وهذا كله تنفيذ لأوامر رسول الله .. ﷺ .. اليه .

ولما اشتد الأمر بينه وبين عثمان ، وطلب اليه عثمان أن يخرج إلى الربذة .. انصرف من عنده مبتسماً .

فقال له الناس : ما لك ولأمير المؤمنين ؟

قال :

« سامع ، مطيع ، ولو أمرني ان آتي صنعاء أو عدن .. لفعلت » .

وهكذا كان الرجل .. تنفيذاً أميناً لتوجيه رسول الله .. ﷺ .

ان معارضته لرئيس الدولة شيء .. واتباع النظام شيء واجب !

تحذير .. خطير ؟!

قالوا : لما قدم أبو ذر المدينة .. ورأى المجالس في أصل سلع .

قال : بشر أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكار .

ما معنى هذا ؟

لقد عاد الرجل إلى المدينة من الشام .

فوجد العمران قد امتد واتسع حتى بلغ مكاناً اسمه « سلع » .

نظر أبو ذر .. الى ذلك العمران .. فرأى بنور المؤمن .. انه ينذر بشر .

فتنبأ نبوءته .

بشر أهل المدينة بغارة شعواء .. بهجوم شديد عليهم .. من حيث لا يحتسبون .

وحرب مذكار ؟! وحرب ذات هول ونكبات !

من أين للرجل هذا الاستنتاج العجيب ؟!

ان أهل المدينة لم يصنعوا عجباً .

ان امتداد المباني خارج المدينة .. ليس جريمة تستوجب أن يعاقبهم الله عليهـــا .

فلماذا يذهب أبو ذر ذلك المذهب العجيب ؟.

انه يغرف من بحار الحقيقة .

انه يرى ان امتداد المباني الفاخرة .. واتخاذ المسلمين للقصور .. معناه انهم ركنوا شيئاً ما الى الدنيا .

ثم تكون النتيجة الحتمية .. أن يتصارعوا عليها .

ثم يدفعهم الصراع إلى التقاتل .

فيكون الهجوم على المدينة ، عاصمة الدولة .. شيئاً حتمياً .. على أنه حلقة من حلقات ذلك الصراع .

فهل وقع وتحقق ما أعلنه البطل ؟!

نعم .. كأنه كان ينظر إلى كتاب بين يديه .. يقرأ فيه تلك السطور .. من القــدر .

فبعد سنوات .. كانت الفتنة الكبرى .

وهجم الثوار .. من أنحاء الدولة الكبرى .. على أهل المدينة .

واحتلوها عسكرياً .. وحاصروا عثمان بن عفان .

فرفض أن يخلع المنصب عن نفسه .. فقتلوه .

وفعلوا به .. وبأهل المدينة ما فعلوا .

ما هــــذا ؟.

هذا ما أعلنه أبو ذر من قبل .. غارة شعواء .. وحرب مذكار .

هذه ومضة .. من نور أبي ذر .

رجل ينظر بنور الله !.

إعلان الثورة الفكرية !؟

الى الشام

قال رسول .. ﷺ :

« يا أبا ذر ، إذا بلغ البناء سلعاً ، فاخرج منها .

« ونحا بيده نحو الشام » .

تلك هي العلامة التي حددها رسول الله .. ﷺ .. لأبي ذر .

أي اخرج إلى الشام !

قالوا : ثم لما مات رسول الله .. ﷺ .. ومات أبو بكر .. خرج إلى الشام .. فكان فيه .. حتى وقع بينه وبين معاوية .

« فاستقدمه عثمان إلى المدينة » .

وكان خروجه إلى الشام .. في أوائل خلافة عمر .

ومكث أبو ذر بالشام طول مدة عمر .. ومدة من خلافة عثمان .. حتى استدعاه عثمان .

مال الشعب ؟!

كان معاوية يقول في المال الذي تحت يده : مال الله .

فأتاه أبو ذر ، فقال : ما يدعوك إلى أن تسمي « مال المسلمين » ، « مال الله »

فقال معاوية : يرحمك الله يا أبا ذر ، ألسنا عباد الله ، والمال ماله ؟!

قال : فلا تقله .

قال معاوية : سأقول مال المسلمين .

وكان هذا المفهوم أخطر المفاهيم التي دعا أبو ذر .. الشعب إلى ادراكها .

إذاً تحدد المفهوم .. وقلنا « مال المسلمين » .. أي مال الشعب .. بلغة العصر الحديث .

فإن في ذلك إثباتاً لحق الشعب .. في محاسبة الدولة .. عن تلك الأموال .

فأراد أبو ذر .. أن يقطع السبيل على معاوية .

ــ أما كون المال مال الله . فتلك حقيقة لا جدال فيها .

ولكن لا بد للأمور من تحديد .

حتى لا تضيع الحقيقة بين الضباب !

رائد الاشتراكية ؟!

قالوا : كان أبو ذر يذهب إلى أن المسلم .

« لا ينبغي له أن يكون في ملكه ، أكثر من قوت يومه وليلته .

« أو شيء ينفقه في سبيل الله ، أو يعده لكريم .

« ويأخذ بظاهر القرآن :

(والذين يكنزون الذهب والفضة ، ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) .

« فكان يقوم بالشام ويقول :

« يا معشر الأغنياء ، واسوا الفقراء .

بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ، بمكاو من نار (تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم .

« فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك .

« وأوجبوه على الأغنياء .

« وشكا الأغنياء ما يلقون منهم » .

لقد أعلن أبو ذر .. الثورة الفكرية .

ووقف ينادي بمفهوم جديد ! .

لئن كانت الدنيا اليوم .. تتحدث عن دعاة التحرير الإ ·ي .

فإن عليها أن تتحدث أولاً ... عن الرجل الذي نادى في العـ ‏‎" كله .. بأعلى مستويات الأخاء .. والتراحم .. قبل أن تعرف الدنيا شيئاً عن الاشتراكية المعاصرة .

« لا ينبغي أن يكون في ملكك أكثر من قوت يومك وليلتك » ؟!

لقد كان رجلا ربانياً .. يرى البشرية على أنها كل واحد .

فلا ينبغي أن يبيت رجل ، وعنده فائض من مال .. بينما هناك من هو في حاجة الى ذلك المال !

وأنها لنظرة عالية .. لا يطبقها إلا من كان كأبي ذر .. سمواً وفهما .

ومن ذا الذي يطبق ما أطاق .. أو يستطيع ما استطاع !

وازداد سخط الأغنياء على أبي ذر .. وارتفع سخطهم إلى معاوية .. حاكم الشام .

فماذا كان من معاوية .. مع أبي ذر ؟!

حوار .. مع العملاق !

قال زيد بن وهب :

« مررت بالربذة .. فإذا أنا بأبي ذر ، فقلت : ما أنزلك منزلك هذا ؟

« قال : كنت بالشام ، فاختلفت أنا ومعـــاوية في هذه الآية (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله) .

« فقال : معاوية : انها نزلت في أهل الكتاب .

« فقلت : نزلت فينا وفيهم .

« فكان بيني وبينه في ذلك كلام .

« فكتب يشكوني الى عثمان .

« فكتب عثمان إليّ أن أقدم المدينة .. فقدمت .

« فقال لي عثمان : إن شئت تنحيت عنا ، فكنت قريباً .

« فذاك الذي انزلني هذا المنزل .

الجماهير .. تأوي إلى أبي ذر

حينما كان أبو ذر .. ينادي بمفهومه الجديد .. بالشام .

أقبل بعض نفر من المسلمين يشكون معاوية إليه .. ويخبرونه أنه قد انقضى الحول ولم يعطهم عطاءهم !

فقال أبو ذر في الجماهير :

« لقد حدثت أعمال ما أعرفها .

« والله ما هي في كتاب الله ، ولا سنة نبيه .

« والله إني لأرى حقاً يطفأ ، وباطلا يحيا ، وصادقاً مكذبا ، وآثرة بغير تقى .

« يا معشر الأغنياء ، واسوا الفقراء .

« وبشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاو من نار ، تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم .

« يا كانز المال ، اعلم أن في المال ثلاثة شركاء .

« القدر ، لا يستأمرك أن يذهب بخيرها أو شرها ، من هلاك أو موت .

« والوارث ، ينتظر أن تضع رأسك ، ثم يستاقها وأنت ذميم .

« وأنت الثالث ، إن استطعت أن لا تكون أعجز الثلاثة ، فلا تكونن .

إن الله عز وجل يقول :

(لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون)

« يا كانز المال ، ألا تعلم أنه إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث ؟

« من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له ؟!

قال رسول الله .. ﷺ :

« (إن ربي عرض عليّ أن يجعل بطحاء مكة ذهباً ، فقلت : لا يا رب ، ولكن أجوع يوماً ، وأشبع يوما ، فأما اليوم الذي أجوع فيه ، فأتضرع اليك وأدعوك . أما اليوم الذي أشبع فيه ، فأحمدك وأثني عليك) .

« اتخذتم ستور الحرير ، ونضائد الديباج .

« وتألمتم الاضطجاع على الصوف الأذربي (نسبة الى أذربيجان) .

« وكان رسول الله ينام على الحصير !

« واختلف عليكم بألوان الطعام وكان رسول الله لا يشبع من خبز الشعير

« يا كانز المال ، ألا تعلم أنه ما من يوم يصبح العباد فيه ، إلا وملكان ينزلان ، فيقول أحدهما : اللهم اعط منفقاً خلفا ، ويقول الآخر : اعط ممسكا تلفا ؟! » .

لقد أضاء الرجل أنوار الحقيقة .. حين صاح صيحته الخالدة .. على ملأ من الدولة كلها .. وتدفقت الجماهير حول الرجل .

واستمعوا إلى ندائه الخالد.

فتفتحت له القلوب .. وازدادوا له حباً !.

ومعاوية .. على رأس الشام .. يشهد .. ويرقب .

اعلان .. الثورة

وواصل أبو ذر صيحته .

وأعلن رأيه عالياً .. في جميع الأوضاع القائمة في الدولة آنذاك .. وخاصة في الشام .. فقال :

« **يا معشر الأغنياء .**

« أنفقوا مما أعطاكم الله ، ولا تغرنكم الحياة الدنيا .

« واجعلوا في أموالكم حقاً ، للسائل والمحروم .

« قال رسول الله .. ﷺ :

(الهاكم التكاثر ، يقول ابن آدم مالي مالي ، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأبقيت) ؟

« يا معشر الأغنياء .

« لقد نهى الله عز وجل عن الكنوز .

« وقال رسول الله (تباً للذهب ، تباً للفضة) .

« فشق ذلك على أصحابه ، كما شق ذلك عليكم ، فقالوا : فأي مال نتخذ ؟

« فقال لهم عمر ، رحمة الله عليه :

أنا أعلم لكم ذلك .

« فدخل على رسول الله ﷺ ، وقال له : إن أصحابك قد شق عليهم ! وقالوا : فأي المال نتخذ ؟

« فقال النبي الحبيب : (لساناً ذاكراً ، وقلباً شاكراً ، وزوجة تعين أحدكم على دينه) .

« إن أموال الفيء من حقوق المسلمين ، ولكن معاوية قد احتجنها ليصرفها على خدمه ، وحراسه وأبهته .

« ونسي معاوية أنه لا يحل له من مال الله إلا حلتان ، حلة للشتاء ، وحلة للصيف ، وما يحج به ويعتمر ، وقوته وقوت أهله ، كرجل من قريش ، ليس بأغناهم ولا بأفقرهم .

« هذا ما سنّه عمر ، الصالح ، فلم لا يتبعه معاوية ؟ !

« إنما الفيء ينبغي أن يقسم على المسلمين .

« كما كانت الحال في عهد النبي ﷺ ، وأبي بكر ، وعمر .

« **أصبحت الضياع ، والدور ، تقتنى ويصرف لتجميلها آلاف الدنانير** ؛

« ويترك المسلمون .

« لقد حج عمر ، وأنفق في ذهابه ومجيئه إلى المدينة ، ستة عشر ديناراً .

فالتفت إلى ولده وقال :

(لقد أسرفنا في نفقتنا في سفرتنا) .

« ان عمر أمير المؤمنين ، يصرف ستة عشر ديناراً في حجة فيستكثرها ، ومعاوية يوزع الآلاف لبني أمية فيستقلها .

« فقال أحد الجالسين :

« انك تخوض في معاوية ، فحاذر .

« **فصاح أبو ذر :**

« **أوصاني خليلي ان أقول الحق ولو كان مرا .**

« **والا أخشى في الله لومة لائم .**

« واني أدعو دعاءه : (اللهم اني أعوذ بك من الجبن ، وأعوذ بك من البخل وأعوذ بك من أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر) » .

ثم واصل العملاق ثورته فقال :

« تفنن القوم في اعداد الطعام ، وأصبح الرجل يأكل من ألوانه ، حتى يلتمس لذلك دواء يمرئه .

« وقد خرج النبي من الدنيا ، ولم يملأ بطنه ، في يوم من طعامين .

« كان اذا شبع من التمر ، لم يشبع من الخبز .

« وما شبع آل محمد ، غداء وعشاء ، من خبز الشعير ، ثلاثة أيام متتابعات حتى لحق بالله .

« وكان يمر بآل رسول الله ﷺ .. هلال ، ثم هلال ، لا يوقد في شيء من بيوته نار ، لا لخبز ، ولا لطبيخ » .

فسأل واحد : بأي شيء كانوا يعيشون ؟

قال : بالتمر والمـــاء .

« وقد قال رسول الله .. ﷺ (ما ملأ ابن آدمي وعاء شراً من بطنه ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه .

« وقال ﷺ : (إياكم والبطنة ، فإنها مكسلة عن الصلاة ، ومفسدة للجسم ومؤدية إلى السقم ، وعليكم بالقصد في قوتكم ، فهو أبعد من السرف ، وأصح للبدن ، وأقوى على العبادة) .

« ولا تحسبوا أن صحابة الرسول كانوا يزهدون في الدنيا ، لأنهم لم يجدوا ما ينفقونه ؟؟ .. لا .. بل ارضاء لله ، وطمعاً فيما وعدهم الله به .

« لقد قالت حفصة لعمر ، بعد أن وسع الله من الرزق ، وبعد أن تدفقت الأموال على المدينة : يا أمير المؤمنين ، لو اكتسيت ثوباً هو ألين من ثوبك ، وأكلت طعـــاماً هو أطيب من طعامك ، فقد وسع الله من الرزق ، وأكثر من الخير ؟.

« فقال : إني سأخاصمك الى نفسك .. أما تذكرين ما كان رسول الله ﷺ يلقى من شدة العيش ، وكذلك أبو بكر ؟

« فما زال يذكرها حتى أبكاها .

« فقال لها : (أما والله لأشاركنهما في مثل عيشهما الشديد ، لعلي أدرك عيشهم الرضى) .

« كان رسول الله يأخذ خمس الغنائم ، فلم يكنز شيئاً ، ولم يدخر شيئاً ، بل كان يتصدق بما يصل اليه ، ولا يجد بعدها ما يأكله .

« وقد رأته عائشة يتألم من الجوع ، فقالت له : يا رسول الله ، ألا تستطعم الله فيطعمك ؟

« وبكت لما رأت به من جوع ؟

فقال :

« والذي نفسي بيده ، لو سألت ربي ، أن يجري معي جبال الدنيا ذهباً لأجراها ، حيث شئت من الأرض ، ولكن اخترت جوع الدنيا على شبعها ، وفقر الدنيا على غناها ، وحزن الدنيا على فرحها .

« يا عائشة .. إن الدنيا لا تنبغي لمحمد .. ولا لآل محمد .

« يا عائشة .. إن الله لم يرض لأولي العــــزم من الرسل الا الصبر على مكروه الدنيا ، والصبر على محبوبها .. ولم يرض إلا أن يكلفني ما كلفهم ، فقال :

« فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » . والله ما لي بد من طاعته .. وإني والله لأصبرن كما صبروا جهدي .. ولا حول ولا قوة إلا بالله » ..

هذا هو البيان الخطير .

الذي أعلنه أبو ذر .. الى العالم كله ؟.

إن أبا ذر .. لم يغير من صفاته شيئاً .

فكما يقول الحق .. على عهد رسول الله .. فسوف يقول الحق .. على عهد كل حاكم بعد رسول الله .

لماذا ؟؟

لأن الرجل يشتعل باطنه بالثورة على الظلم .. والثــــورة على الأوضاع التي بدأت تسود في زمان عثمان .

لأن رجلاً كأبي ذر .. لا يستطيع أن يهادن الباطل .. ولو كان الباطل في الدولة وأصحابها .

واشتعل رأس أبي ذر غضباً .. لله .. ولحقوق الجماهير .

فوقف يصرخ صراخه الخالد .

يسبق به عصره كله .. ويخالف به مفاهيم أكثر بني عصره .

لقد كان أبو ذر « تقدميا » .. إلى أبعد آماد التقدم .

لقد كان يصرخ .. بمستوى أعلى من أعلى المستويات التقدمية في عصرنا .. عصر الفضاء .

فكيف تأتى للرجل .. أن يسبق عصره .. ويسبق عصرنا عصر الفضاء ؟

من هناك .

من نور محمد .. ﷺ .

ومن نور أبي بكر .

ومن نور عمر .

لقد كان الرجل إمتداداً .. لذلك النور .. نور رسول الله ﷺ .. قدسبقها إمتداداً أصيلاً للرسالة العليا .. رسالة رسول ﷺ .. فمهما تقدمت البشرية ومهما حاولت أن تسمو .. فإن رسول الله ﷺ .. قد سبقها سبقا عظيما .. لا يستطيعه البشر أجمعون .. ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

فما دعا اليه رسول الله ﷺ .. سبق كل فكر .. كان أو يكون .

فلما أن قام أبو ذر .. ينادي بمفاهيمه .. التي تشمشمت منه .

فبهرت الحاكم والمحكوم .

كان يجدد رسالة الرسول ﷺ .. في النفوس .

ويذكرهم بما كانت عليه الأمور .. أيام رسول الله ﷺ .. وصاحبيه ؟

فلماذا فزع الأغنياء منه .

وأوجس الحاكمون خيفة منه ؟.

لأن القوم مالوا .. شيئاً ما الى زينة الدنيا

وأبو ذر .. يدعوهم الى الآخرة .

فما لهم لا يفزعون ؟

وما زال أبو ذر .. يندد بأعمال معـــاوية .. ويندد باتجاهات الأغنياء في عهده .. ويذكرهم بالمثل العليا .. التي كانت على عهد رسول الله .. ﷺ وصاحبيه .

حتى خشي معاوية أن تنتشر دعوة الرجل في أنحاء الشام .

فتتجمع الجماهير من حول أبي ذر .. وتكون ثورة ضد الأغنياء .

أو فتنة على حد تعبيرهم في ذلك الزمان .

فكتب إلى أمير المؤمنين في ذلك .. ليرى رأيه في الأمر !

معاوية .. يستكشف أبا ذر !

وضاق معاوية بدعوة أبي ذر .

فبينما الفتنة تسري سريان النار في الهشيم في أرجاء الدولة الإسلامية ضد عثمان .

إذاً بأبي ذر هو الآخر .. يقود ثورة أخطر على كيان الدولة .. من الفتنة الكبرى كلها .

ذلك أن أهل الفتنة كانوا يعيبون على عثمان اطلاق أيدي بني أمية في الدولة ويتنادون بعزله وعزل ولاته .

بينما أبو ذر ينادي بنزع ما زاد في أيدي الأغنياء من أموال .. وردها في الفقراء .. في الجماهير .

وقد كان الأغنياء آنئـــذ طبقة ضخمة منتشرة .. ذات مصالح عديدة متفرعة .

وهذا ما زاد دعوة أبي ذر خطورة .

وجعل معاوية يفكر في الخلاص منه .. واخراجه من ولايته حتى لا يفسدها عليه .

ولجأ معاوية الى فكرة بارعة .. ليستطيع بعدها أن يعالج مشكلة أبي ذر علاجاً حاسماً .

فأرسل إلى أبي ذر .. ألف دينار .. في ظلام الليل .

فما كان من أبي ذر إلا أن وزعها فوراً على الفقراء .

وعاد معاوية فأرسل اليه الرسول يقول له : انقذني من عذاب معاوية ، فإنه كان قد أرسلني بالمبلغ الى غيرك ، فأخطأت بك .

فقال أبو ذر :

« يا بني ، قل له ... والله ما أصبح عندنا من دنانيرك دينـــار ، ولكن أخرنا ثلاثة أيام ، حتى نجمعها من أخذها » !

فلما علم معاوية بما كان .. أيقن أن أبا ذر .. ممن يصدق فعله قوله .

فكتب الى عثمان : « إن أبا ذر قد أعضل بي » .

وفي رواية .. أن أبا ذر قد ضيق علي ، وقد كان من أمره كيت وكيت .

وفشلت خدعة معاوية .. وأيقن أنه أمام عملاق من عمالقة الحق .

عملاق ينتفض لله .. وفي الله .. وبالله .

وأن الجماهير .. سوف تستجيب لندائه .. وتلتف من حوله .

فماذا يفعل الداهية .

معاوية .. يحدد إقامة أبي ذر ؟!

عن الأحنف بن قيس قال :

« اتيت الشام ، فجمعت .

« فإذا انا برجل ، لا ينتهي الى سارية ، إلا فر أهلها .

« يصلي ويخفف صلاته .

« فجلست اليه ، فقلت له : يا عبد الله ، من انت ؟

« قال : أنا ابو ذر . وأنت من انت ؟

« فقلت : الأحنف بن قيس .

« فقال : قم عني ، لا أعدك بشر (اي لا تجالسني فتتعرض للشر) .

« فقلت : كيف تعدني بشر ؟

« فقال : ان هذا (اي معاوية) نادى مناديه ألا يجالسني احد » .

فما معنى هذا ؟.

معناه كبير جداً .. خطير جداً .

معناه ان ابا ذر .. كان خطيباً جماهيرياً .. زلزلت بياناته الدولة زلزالا عظيما.

وان الجماهير تدفقت عليه .. تستمع اليه .. وتتجمع من حوله .. عن ايمان بما يقول ويدعو اليه .

وان معاوية .. احس اكثر من غيره .. ان الرجل خطـــر عليه .. وعلى عثمان نفسه .

وازداد هذا الإحساس في نفسه .. حين عجز عن شراء ابي ذر .

وحين عجز عن استمالته بالرأي والمحاورة .

لقد بعث اليه بألف دينار .. فوزعها لفوره على الفقراء .

وبعث اليه وحاوره .. في آية الكنز .. وأراده ان يعتقد معه انها نزلت في اهل الكتاب لا في المسلمين .

فأصر ابو ذر على رأيه .. وصاح به صيحته الخالدة : بل فينا وفيهم .

ووقف معاوية عاجزاً .. امام العملاق .. لا يدري ما هو فاعل به .

انه ينادي بالحق .. وإن الأمة تعلم ان الرجل لم يزد على ان نبه الى مفاهيم الإسلام الصحيحة .. التي اوشكت ان تتزعزع في كثير من النفوس .

وان معاوية لا يستطيع ان يزعم للجماهير ان ما يقوله ابو ذر باطلاً .. فالرجل يدعو الى ذروة المفاهيم الإسلامية .. الى التخطيط النبوي .. البابكري .. العمري .. فكيف يستطيع معاوية له معارضة ؟.

والأمة يومئذ امة واعية .. تدرك مفاهيم دينها .. وليس من السهل تضليلها .

او كيف يعارض معاوية .. رجلاً شهد له رسول .. ﷺ .. بالصدق في قوله وفي فعله أو كيف يعارض رجلاً اثبتت الحوادث انه صادق .. حين رفض دنانيره الألف .. وألقاها الى الفقراء ؟.

وأفلس معاوية .. فلم يبق امامه إلا ان يلجأ .. الى ما يلجأ اليه كل من .. يضيق بحرية الرأي .. ويغص بكلمة الحق .

لجأ الى تحديد اقامة ابي ذر !.

ارأيت ؟. ان الإنسان هو الإنسان .

ولا جديد تحت الشمس .

وكانت اوامر معاوية .. ان يعتزل ابو ذر الناس .. فلا يجلس اليهم .. ولا يجلسون اليه .

وإن من جالسه أو استمع اليه قبض عليه فوراً .

وكانت مهزلة .. ضحك لها التاريخ طويلا .. ان معاوية .. صاحب رسول الله .

يفعل هذا .. بأبي ذر صاحب رسول الله .

انها السياسة لها احكام .

يخبرنا الأحنف ، انه جلس الى ابي ذر .. وإن ابا ذر امره ان يقوم عنه حتى لا يمسه شر بسبب جلوسه اليه .

فيعجب الأحنف .. كيف يمسه ذلك الشر ؟!

إذاً لقد بعث معاوية منادياً ينـــادي : لا تجالسوا ابا ذر .. الويل لمن يجالس ابا ذر .

معنى ذلك بلغة العصر الحديث .. تحديد اقامة ابي ذر .

وان الدولة اذاعت ذلك على الشعب .. بكل وسائل الإعلام في عصرها .

وكان بلاءً جديداً للعملاق .. كما يبتلي دائماً اهل الحق .

وتلك سنة الله في خلقه .

ان دعاة الحـــق .. تنكرهم عصورهم .. لأنهم يتكلمون لغة المستقبل .. ويسبقون زمانهم .

وارتفعت يا ابا ذر .. فوق هؤلاء جميعاً .

لأنك كنت تحلق في آفاق اعلى فلم يفهموك .. ولم يستطيعوا ان يلحقوك .

وكان رسول الله .. ﷺ .. هو الذي يفهمك .. وكان يعلم انك ستبتلى بسبب ما سوف تدعو الناس اليه .

وتذكر ابو ذر .. كلمة رسول الله .. ﷺ .. ودوت في اعماقه .

« يعيش وحده » .

وها هو يعيش وحده .

أبو ذر .. يهز الدولة الكبرى .. هزّاً عنيفاً ؟!

وانطلق ابو ذر غير عابىء بتهديد الدولة .. او تضييق الحياة في وجهه .

حددوا اقامته .. فاستمر يخرج الى صلاة الجماعة .. كل يوم خمس مرات .

فكان خروجه هذا .. مظاهرة صامتة .. يقوم بها وحده .

فتزداد الجماهير به تعلقاً .. وتزداد القلوب اليه حنيناً .

من اجل ذلك كان ابو ذر في صمته .. اخطر على معاوية .. وعلى الدولة من كلامه .

لقد تكلم الرجل بما عنده .. رغم سلطان معاوية .

« ان بني امية ، تهددني بالفقر والقتل .

« وللفقر أحب إلي من الغنى .

« ولبطن الأرض أحب إلي من ظهرها .

« يا معشر الأغنياء ، انفقوا مال الله على عباده .

« ولا تقولوا (يد الله مغلولة) و (ان الله فقير ونحن الأغنياء) ، (انما أموالكم وأولادكم فتنة ، والله عنده أجر عظيم) » .

وكان ابو ذر .. وهو يصرخ صراخه هذا .. يعلن اخلد المبادىء في سجل الحياة البشرية .

ويبرهن ان مدرسة محمد .. ﷺ .. صالحـــة ابداً .. ان تخرج اعظم ابطال حرية الرأي .

وأي حرية رأي .. أعظم من موقف أبي ذر هذا أو أي بطولة .. اعظم من بطولة رجـــل .. يقاوم وحده .. الدولة العظمى في الأرض .. بطاقاتها ومقدراتها ؟.

ويقاوم بعد هذا .. كثيراً من المفاهيم التي لم يستطع اصحابها ان يرتفعوا الى ما ارتفع هو اليه من التفكير .

لقد كان ابو ذر يقاوم رسميـــاً من الدولة .. ويقاوم من طبقة الأغنياء والرأسماليين .. ويقاوم من كثير من الطبقات الأخرى من الجماهير التي لم تتفتح بعد على مفاهيمه العليا .

رجل وحده .. يقاوم كل ذلك وحده .

تلك هي العظمة الفكرية .

او البطولة الربانية .

ولئن كانت عظمة ابي ذر .. كلما حاولنا تفهمها ، تبهرنا عجائبها .

فإن الذي يبهرنا اكثر وأكثر .

انها قطرة .. من محيط العظمة المحمدية .. عظمة رسول الله .. ﷺ .

وما زال الرجل يعلن مبادئه تلك .. ويلح في إعلانها .. حتى تكون منها تيار شعبي جارف .. اصبح منه الأغنياء خائفين

فذهبوا يشكون الرجل ودعوته الى معاوية .

فكتب معـــاوية .. بعد ان استيأس أن يرد أبا ذر عن دعوته .. إلى أمير المؤمنين :

« أن ابا ذر تجتمع اليه الجموع .

« وقد ضيق علي ، وأعضل بي .

« ولا آمن ان يفسدهم عليك .

« فأن كان لك في القوم حاجة فاحمله » .

لقد أصبح أبو ذر تياراً جارفاً لا يقاوم .

فإن كان لك في القوم حاجة فاحمله ؟. فإن كنت تريد يا عثمان .. الاحتفاظ بأقطار الشام ، بعيدة عن الفتنة ، عن الثورة عليك ، فاحمله .. فأمر بإحضاره اليك ، وإبعاده عن الشام .

فماذا كان جواب أمير المؤمنين ؟.

« ان الفتنة قد أخرجت خطمها وعينيها .

« ولم يبق إلا ان تثب .

« فلا تنكأ القرح .

« وجهز أبا ذر إلي .

« وابعث معه دليلا .

« وزوده ، وارفق به .

« وكفكف الناس ونفسك ما استطعت .

« فانما تمسك ما استمسكت » .

هذا هو رد أمير المؤمين .

ولم يبق إلا أن تثب ؟!

ان الثورة توشك ان تنفجر يا معاوية .. ومن الحكمة ألا تفتح الجرح .

فماذا كان من معاوية ؟.

اشتراكية أبي ذر ؟!

ابو ذر .. في عاصمة الدولة الكبرى

وجاء كتاب أمير المؤمنين .. الى معاوية .

فسارع الى تنفيذه .. ليتخلص من المشكلة في أسرع وقت .

وحمل أبا ذر على بعير .

ومعه خمسة من الصقالبة .. يطيرون به .. ولا يدعونه يستريح في الطريق .

وبلغ الركب المدينة . عاصمة الدولة الكبرى .

ورأى أبو ذر المجالس في أصل جبل سلع . فقال كلمته الخالدة : بشر أهل المدينة بغارة شعواء ، وحرب مذكار

ودخل أبو ذر على عثمان .

وكان عنده علي ، وبعض المسلمين .

يا جنيدب

فلما رآه عثمان قال : لا أنعم الله بك عيناً يا جنيدب .

أبو ذر — أنا جنيدب ؟

وسماني رسول الله • عبد الله ، فاخترت اسم رسول الله الذي سماني به على اسمي .

عثمان — ما لأهل الشام يشكون ذربك (حدة) لسانك ؟

أبو ذر — لقد كنز الناس ، فبشرهم بمكاو من نار .

عثمان — انت الذي تزعم انا نقول ان يد الله مغلولة ، وان الله فقير ونحن أغنياء ؟

أبو ذر — لو كنتم لا تزعمون ، لأنفقتم مال الله على عبـــاده . نصحتك فاستغششتني ، ونصحت صاحبك فاستغششني .

عثمان — كذبت ، ولكنك تريد الفتنة وتحبها ، قد انغلت الشام علينا .

أبو ذر — اتبع سنة صاحبك ، لا يكون لأحد عليك كلام .

عثمان — ما لك وذلك ؟. لا أم لك .

أبو ذر — والله ما وجدت في عذرا إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فظهر الغضب في وجه عثمان وقال :

« أشيروا علي في هذا الشيخ الكذاب .

« اما ان أضربه أو أقتله .

« فانه قد فرق جماعة المسلمين .

« أو أنفيه من أرض الاسلام » .

فقال علي :

« اشير عليك بما قاله مؤمن آل فرعون .

« وان يك كاذباً فعليه كذبه وان يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم . ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب » .

فأجاب عثمان بجواب غليظ .

اتهم فيه أبا ذر بأنه عين لعلي .

فأجاب علي بجواب أغلظ .

وارتفع الجدل .. فدخل الناس بينهما .

وأخيراً قال عثمان :

« اني احظر على الناس .

« أن يقاعدوا أبا ذر .

« أو يكلموه » .

وهكذا . .

تحددت اقامة أبي ذر .. مرة أخرى .. محظور على الناس جميعاً .

ان يقاعدوا أبا ذر .

أو يكلموه .

« يعيش وحده » !.

صدق . . ﷺ .

استقبال البطل

إلا ان الأوامر الرسمية شيء .. ومشاعر الجماهير شيء آخر .

قالوا :

« وخرج أبو ذر ، من عند عثمان .

« فكثر عليه الناس .

« كأنهم لم يروه من قبل ذلك » .

وكان هذا هو التعبير الجماهيري .. نحو أبي ذر .. بطل الجماهير .. بطل حرية الرأي .

ان الدولة تحظر أن يجالس .. أو يكلم .

وها هو الشعب يتدفق عليه .

كل يريد أن يراه .. كأنه لم يره من قبل .

ان أبا ذر .. قد أصبح تياراً عالمياً .

لا يقاوم .. ولا يدافع .

انه صوت الحق .

لو وضعتم السيف

وجلس أبو ذر يوماً في المسجد . فأقبل رجل يسأله :

ان مصدقي عثمان ازدادوا علينا ، أنغيب عنهم بمقدار ما ازدادوا علينا ؟

فقال أبو ذر :

« لا . قف مالك ، وقل : ما كان لكم من حق فخذوه ، وما كان باطلاً فذروه ، فما تعدوا عليك جعل في ميزانك يوم القيامة » .

فقال فتى من قريش : اما نهاك أمير المؤمنين عن الفتيا ؟

فقال أبو ذر :

« أرقيب انت علي ؟

« فوالذي نفسي بيده .

« لو وضعتم الصمصامة (السيف) هنا (وأشار الى عنقه) ثم ظننتم اني منفذ كلمة سمعتها من رسول الله .. ﷺ .. قبل أن تحزوا ، لانفذتها » .

يا للجلود !.

انه يرتفع أكثر فأكثر .

رجل يسأله : هل يجوز له أن يخفي عن الرجال الذين يجمعون الزكاة ، من ماله قدر ما يرفع عنه ظلمهم ؟

فيقول : لا .

لا .. أيها السائل .. الحق حق .

ان معارضتي لعثمان شيء .. لا ينبغي أن يدفعني إلى تأليب الناس عليه .

ان أبا ذر في موقفه هذا .. نموذج صحيح المعارضة في الإسلام .

هو يختلف مع عثمان .. ولكن لا يحقد عليه .. ولا يخرج عن طاعته .

أعلى .. فأعلى

وكان أشد المواقف تأثيراً على النفس .. حين قال له الفتى من قريش : أما نهاك أمير المؤمنين عن الفتيا ؟

فأجابه البطل .. الذي لا تستطيع الدنيا كلها .. أن تزحزحه عن الحق ،

« فوالذي نفسي بيده ، لو وضعتم الصمصامة هنا ، ثم ظننت اني منفذ كلمة سمعتها من رسول الله .. ﷺ .. قبل ان تحزوا لانفذتها » .

ما هـذا ؟ .

هـــذا رجل ..

أي نوع من الرجال يكون ؟.

رجل .. من رجال .. رسول الله .. ﷺ .

تالله .. لو انفقت عمري .. أردد تلك العبارة .. ما نفدت عجائبها .. وما استطعت لها فهماً .

وانها لفرصة نادرة .. ان نظفر بتلك الجملة الخالدة .. تصدر عن الرجل .. في لحظة غضب لله .. لتكون المفتاح الذي يفتح لنا .. بحر الحقيقة منه .

وكانت لحظة .. وقف فيها أبو ذر .. فاروقاً بين الظلام والنور .

لحظة أرضى فيها البطل أعماقه .. التي لا ترضى أن تكتم الحـــق .. خشية الناس .

وتلاشى كل شيء .. من قلب أبي ذر .

وبقي الله وحده .

وتلألأت حقيقته بلا حجاب .

لأنها قد فنيت عن كل حجاب .

وطارت إلى العزيز الوهاب !.

الحوار .. الخـالد

وأصبحت صرخة أبي ذر .. حديث العاصمة الكبرى .

وتلقفتها الأفواه .. تديرها على وجوهها المختلفة .

فمنهم مؤيد لرأيه .. متعصب لمذهبه .

ومنهم من يرى انها دعوة مثالية .. لا يستطاع تطبيقها .

واستدعى أمير المؤمنين عثمان .. أبا ذر .. يستطلعه هذا الذي يصر على دعوة الناس اليه .

وجاء أبو ذر .. وكان كعب الأحبار .. وبعض المسلمين عند أمير المؤمنين .

قال عثمان : يا أبا ذر ، ألا تكف عما أنت فيه ؟

أبو ذر — حتى يواسي الأغنياء الفقراء .

فسأل عثمان من حوله : أرأيتم من زكى ماله ، هل فيه حق لغيره ؟

فقال كعب : لا .. يا أمير المؤمنين .

فدفع أبو ذر في صدر كعب وقال : كذبت يا ابن اليهودية .

« ثم تلا : (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر ، من آمن بالله ، واليوم الآخر ، والملائكة ، والكتاب ، والنبيين واتى المال على حبه ، ذوي القربى ، واليتامى والمساكين ، وابن السبيل ، والسائلين وفي الرقاب ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء ، والضراء ، وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون) .

فقال عثمان :

« يا ابا ذر ، لا يمكنني حمل الناس على الزهد .

« ولكن علي ان اقضي بينهم بحكم الله ، وأرغبهم في الاقتصاد » .

فقال أبو ذر : لا نرضى عن الأغنياء ، حتى يبذلوا المعروف ، ويحسنوا للجيران ، والإخوان ، ويصلوا القرابات .

فقال كعب الأحبار : من أدى الفريضة ، فقد قضى ما عليه .

فرفع أبو ذر العصا ، فدفع بها في صدر كعب .

هذا هو الحوار الخالد .

وهو خطير خطير .

لماذا يا أبا ذر .. تقود هذه الحملة على الأغنياء .. وتنادي هـــذا النداء الغريب .. الذي يفتن الجماهير ويفسد عقولها ؟

فماذا كان جواب العملاق ؟

حتى يواسي الأغنياء الفقراء .

حتى يتساوى الأغنياء والفقراء .

منطق عجيب !

ثم سأل عثمان من حوله : أرأيتم من زكى ماله ، هل فيه حق لغيره ؟

هل في المال بعد اخراج الزكاة حق للغير ؟

قال كعب ، لا يا أمير المؤمنين .

لقد كان ينظر الى الحد الأدنى .. من فرائض هذا الدين في المال .

رأي .. أبي ذر

وثار أبو ذر .. وصاح : كذبت يابن اليهودية .

يريد كعب أن يقف عند الفروض .. ويريد أبو ذر أن يمـــد بصره الى ما وراء الفروض .

وانطلق العملاق .. يلقي بمفاتيح القضية .. مفتاحاً مفتاحاً .

ثم تلا : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب » الخ .

هذه هي المفاتيح .. ولكن البر .

١ — من آمن بالله .

٢ — واليوم الآخر .

٣ — والملائكة .

٤ — والكتاب .

٥ — والنبيين .

٦ — وآتى المال على حبه .

٧ — ذوي القربى .

٨ — واليتامى .

٩ — والمساكين .

١٠ — وابن السبيل .

١١ — والسائلين .

١٢ — وفي الرقاب .

١٣ — وأقام الصلاة .

١٤ — وآتى الزكاة .

١٥ — والموفون بعهدهم إذا عاهدوا .

١٦ — والصابرين في البأساء .

١٧ — والضراء .

١٨ — وحين البأس .

أولئك الذين صدقوا .

وأولئك هم المتقون .

١٨ مفتاحاً .. يضعها أبو ذر في يديك .. لتفتح بهـــا أبواب البر .. أبواب الخير .

ان أبا ذر يرى أن الإيمان .. قضية كلية .. قضية كمال وتكامل .

ان الرجل .. كما قدمنا .. يريد قمة الفضائل .. وذروة التكامل .

بينما كعب يريد الخط الجماهيري .

مستوى الفروض .. الذي يمكن حمل الجماهير عليه .

وهذا هو مصدر الخلاف دائماً بين أبي ذر وبين مجادليه .

اختلف مع معاوية .. من أجل ذلك .. حتى أخرجه من الشام .

واختلف مع عثمان مراراً .. من أجل ذلك .. حتى كان بينهما هـــذا الحوار الخالد .

لا يمكنني .. حمل الناس .. على الزهد ؟!

هذا هو الحكم الذي أصدره أمير المؤمنين .. عثمان .. باعتباره رئيس الدولة الأعلى .. وأحد الخلفاء الراشدين .. وأحد كبار أصحاب رسول الله .. ﷺ .

قال عثمان :

« يا أبا ذر .

« **لا يمكنني حمل الناس على الزهد .**

« **ولكن علي ان اقضي بينهم بحكم الله ، وأرغبهم في الاقتصاد » .**

هذا هو الحكم الخالد .. في القضية الخالدة .. قضية الشعوب .

لا يمكنني حمل الناس على الزهد ؟.

أنا كرئيس دولة .. كرجل مسئول .. لا يمكنني أن أحمل الناس بالقوة على الزهد .

لأن الجماهير تساس على الحد الأدنى من الفروض .. ولا تساس على الحد الأعلى من الفضائل .

هذه نظرية أمير المؤمنين عثمان .

الرجل الذي عاش ما يزيد عن خمسين عاماً في هذا الإسلام .. هي خير أعوام هذا الدين .

فهل رضي أبو ذر .. حكم أمير المؤمنين في القضية ؟.

لا ؟!...

وأعلنها أبو ذر .. تدوي عبر التاريخ .

« لا .. نرضى عن الأغنياء ، حتى يبذلوا المعروف ، ويحسنوا للجيران، والاخوان ، ويصلوا القرابات » .

لا نرضى عن الأغنياء .. ولا يمكن أن نرضى .

لأن القرآن كل لا يتجزأ .. فلا يجوز أن نأخذ بعضه .. ونترك بعضه .

لا ؟ !

لا نرضى ؟!

« حتى يبذلوا المعروف » .. حتى يبذلوا من أموالهم .. حق الجماهير في تلك الأموال .

حتى يبذلوا ما يعرف المسلمون .. انه حق معلوم في أموالهم .. وراء الزكاة .

ان الجماهير تدرك أن الاتجاه العام المألوف لديها .. المتعارف على حسنه

بينها .. أيام رسول الله .. ﷺ .. وأيام أبي بكر .. وأيام عمر .. هو ألا تتكدس تلك الأموال بيد الأغنياء . وتترك الجماهير تلعق الندى !

هذا هو المعروف .. أو عرف الجماهير آنذاك .

وهذا هو ما يريده أبو ذر .

لا يرضى الشعب عن الأغنياء . حتى يبذلوا أموالهم في خدمة الشعب .

ثورة .. أبي ذر ؟!

فقال كعب الأحبار :

من أدى الفريضة ، فقد قضى ما عليه .

فرفع أبو ذر العصا .. فدفع بها في صدر كعب .

على مشهد من أمير المؤمنين .. وجلساء أمير المؤمنين !

وكان هذا تعبيراً عن سخط أبي ذر .. وسخط الجماهير .. التي يمثلها .

لقد كان عهد رسول الله .. ﷺ .. عهداً ذهبياً .. ظفرت الجماهير فيه بحقوقها كاملة .

كان ﷺ .. يعمل دائباً على تحقيق التوازن بين الطبقات .

فهو دائم الدعوة الى الصدقات .. والأغنياء الذين آمنوا به .. يستجيبون سراعاً لندائه .

ويتسابقون إلى الإنفاق .. فيتحقق التوازن بين الطبقات كلها .

وهكذا حقق . ﷺ .. التوازن الطبقي بغير قسر ولا تسلط .. ولكن بتوجيه القلوب نحو الله فإذا بها تتفتح . وتقبل نحو الإنفاق في سبيله تعالى ابتغاء مرضاته سبحانه !

بدء التحول

فلما كان عهد أبي بكر .. استمر ذلك المفهوم .. سارياً في الناس .

أغنياء يتصدقون .. يبذلون .. وفقراء يأخذون تلك الأموال .. على انها بعض حقهم في أموال الأغنياء .

حتى كان عهد عمر .. فوضع ذلك الاتجاه .. موضع التنفيذ العملي .

وجاء عمر بالعجب العجاب .. في تطبيق تلك المفاهيم .

حتى كان من آخر كلامه :

« لآخذن فضول أموال الأغنياء .

« وأردها في الفقراء » .

وهذا هو آخر تطور .. للتطبيق .. في عهد عمر .

إلا ان الرجل ذهب إلى ربه .. ولم يستطع أن ينفذ ذلك التطور في حياته .

حتى جاء عهد عثمان .

فازداد الأغنياء غنى .

وبدأ المجتمع يتحول نحو الرأسمالية .

ويبتعد قليلاً عن المفاهيم الأولى الصحيحة .

وتكونت طبقة .. من كبار الرأسماليين في المجتمع .

ولم يستطع عثمان .. أن يحول مجرى الحوادث .. فيتطور بمفاهيمه .. كما كان عمر يتطور .. وكما كان يريد أن يتطور .

وترك للأغنياء حريتهم .. يجمعون ما شاءوا ولا شيء عليهم إلا أن يؤدوا زكاة تلك الأموال .

وكان مطلوباً من عثمان أن يكون امتداداً لعمر .. كما كان عمر امتداداً لأبي بكر . وكما كان أبو بكر امتداداً لرسول الله .. ﷺ .

إلا أن عثمان .. حكم الأمة على أساس من حرية رأس المال .. فليس لأحد أن يتدخل في حرية أحد .. ما دام يؤدي الزكاة المفروضة .

بل فك جميع القيود .. التي كان عمر يلجم بها الرأسماليين .

فانطلقوا يجمعون .. ويثمرون أموالهم .

فتخلخل المجتمع واهتز بنيان الدولة الكبرى .

فكانت الفتنة الكبرى .

نتيجة طبيعية .. لمقدمة طبيعية .

وضاع صراخ أبي ذر .

وسط تلك الدوامة العاتية .. من دوامات الرأسمالية .

فلم يسمع الرأسماليون .

إلا أن القدر استمع اليه .

لأنه كان ينطق بالحق .. بالقانون .. الطبيعي .. الذي وضعه الله للحياة .. قانون العدل الإلهي .

وأنزلت السماء حكمها على ذلك المجتمع .

ووقعت الفتنة الكبرى .

حتى قتل من الصحابة .. في تلك الفتنة .. بيد الصحابة .

ولو قد استمعوا إلى صراخ أبي ذر .

ولو قد استمعوا إلى وصية عمر .. فأخـــذوا فضول أموال الأغنياء .. وردوها في الفقراء .

فلربما .. تأخرت الفتنة قليلا .

وكان أمر الله قدراً مقدوراً !.

رأي أبي ذر ... في ثروة المليونير ...
عبد الرحمن بن عوف ؟!

لـماذا الغضب

أتي بتركة عبد الرحمن بن عوف .. من المـال .. فنصبت البدرة .. حتى حالت بين عثمان وبين الرجل القائم .

فقال عثمان : اني لأرجو لعبد الرحمن خيراً .. لأنه كان يتصدق ، ويقري الضيف ، وترك ما ترون ؟

فقال كعب : صدقت يا أمير المؤمنين .. قد كسب طيبا .. وأنفق طيبا .. لقد أعطاه الله خير الدنيا والآخرة .

فشال أبو ذر العصا .. فضرب بها رأس كعب .. فشجه وقال :

« يا بن اليهودي ..

تقول لرجل مات وترك هـذا المـال ، ان الله أعطاه خير الدنيا وخير الآخرة ، وتقطع على الله بذلك ؟!

« ولقد خرج رسول الله .. ﷺ .. يوماً نحو أحـــد ، وأنا معه ، فقال : يا أبا ذر .

« فقلت : لبيك يا رسول الله .

« فقال : الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة ، إلا من قال كذا وكذا ، عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه ، وقليل ما هم .

« ثم قال : يا أبا ذر .

« فقلت : نعم يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي .

« قال : ما يسرني أن لي مثل أحـــد أنفقه في سبيل الله ، أموت وأترك منه قيراطين .

« قلت : أو قنطارين ، يا رسول الله .

« قال : بل قيراطين .

« ثم قال : يا أبا ذر ، أنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل .

« فرسول الله يريد ذلك ، وأنت تقول يا بن اليهودية ، أن لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف » ؟!

ان أبا ذر .. يشمئز مما ترك عبد الرحمن .. من أموال .

ويشمئز من رأي كعب في تلك الأموال .

فمن هو عبد الرحمن هـــذا ؟.

كان .. من السابقين

كان أصغر من رسول الله .. ﷺ .. بعشر سنوات .

فكان سنه حين بعث رسول الله .. ﷺ .. ثلاثين سنة .

وكان من أول نفر استجاب لأبي بكر .. حين دعاهم إلى الإسلام .

فهو من رجال الطليعة في هذا الدين .

وكان من المهاجرين الأولين .

جمع الهجرتين جميعاً .. هاجر الى الحبشة .. وهاجر الى المدينة .

واخى رسول الله .. ﷺ . بينه وبين سعد بن الربيع .. غنى الأنصار .

وشهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله .. ﷺ .

وتوفى سنة اثنتين وثلاثين عن خمس وسبعين سنة

وكانت وفاته في خلافة عثمان

وكان مقدماً في مهمات الأمور

لوفور عقله .. وخصائص السيادة في نفسه .

ولقد شهد له رسول الله .. ﷺ بذلك فقال . « عبد الرحمن بن عوف ، سيد من سادات المسلمين »

رجـــل الساعة ؟!

ولقد لعب .. عبد الرحمن بن عوف .. دوراً على غـــاية الخطورة .. في اللحظات الحاسمة التي أعقبت اغتيال عمر .

كانت الأمة كلها تتطلع .. من يخلف عمر .. من يستطيع أن يحمل ذلك الأمر بعد عمر .

وكانت أنظار العالم كله .. تتجه إلى عبد الرحمن بن عوف .. وهو يحاور ويداور . ويستشير ويستطلع . آراء الخاصة والعامة .. فيمن يخلف عمر ؟

وحسم عبد الرحمن الأمر .

وبايع عثمان .. وبايع المسلمون من بعده .

لقد كان عبد الرحمن في هذا . رجل الموقف . الذي تتركز عليه أنظار العالم كله ! .

أنا أكثر .. قريش كلهم .. مالاً ؟!

عن أم سلمة قالت :

« دخل عليّ عبد الرحمن بن عوف فقال :

« يا أمة ، قد خشيت أن يهلكني كثرة مالي !

« أنا أكثر قريش كلهم مالاً .

« قالت : يا بني ، تصدق » .

وفي رواية .. « انفق » .

« فإني سمعت رسول الله .. ﷺ .. يقول :

« ان من أصحابي ، من لا يراني بعد أن أفارقه » .

وهكذا يقرر عبد الرحمن بنفسه أنه أغنى رجل في المجتمع .

وهذا أمر ينبغي أن نهتم له أشد الاهتمام .. في بحثنا هذا .. لننظر كيف عالج الرجل تلك المشكلة .

وكيف كان سلوكه العام والخاص في ثروته الطائلة ؟!

مليونير مكة .. ومليونير المدينة .. يتآخيان ؟!

لما هاجر عبد الرحمن الى المدينة .

آخى رسول الله .. ﷺ .. بينه وبين سعد بن الربيع .

فقال سعد : أخي .. أنا أكثر أهل المدينة مالاً .. فانظر شطر مالي فخذه .

« وتحتي امرأتان .. فانظر أيهما أعجب اليك .. حتى أطلقها لك » !.

فقال عبد الرحمن بن عوف :

« بارك الله لك في أهلك ومالك .

« دلوني على السوق » .

« فدلوه على السوق » !.

وهنا نقف طويلاً طويلاً .

أول المكارم .. أن مليونير مكة .. تآخى ومليونير المدينة .. وعندما تتوازى المستويات الاجتماعية .

يتيسر التفاهم بين الكريمين .

هذا أغنى قومه .. وذاك أغنى قومه .

فماذا كان من العظيمين ؟!

أما عبد الرحمن .. فترك ماله بمكة .. ترك ألوفه .. وهاجر إلى المدينة .

كل ذلك ابتغاء وجه ربه الأعلى !

وعندما نتصور أن الرجل كان أغنى رجل في مجتمعه .. وانه نزل عن أمواله كلها .. ندرك أي تضحية ضحى هؤلاء العظماء ؟.

فلما آخى رسول الله .. ﷺ .. بينه وبين سعد .. تجلت من غني الأنصار مكارم لا مكرمة واحدة !

وفي صفاء .. وفي اشفاق .. وفي اخلاص .. وفي رجاء قال مليونير المدينة لأخيه : أخي .. أنا أكثر أهل المدينة مالاً .

ونظر عبد الرحمن – رضي الله عنه – إلى أخيه .. وهو لا يدري ماذا يعني بقوله ذاك ؟!

ثم أطلقها سعد .. لتخلد في العالمين :

فانظر شطر مالي فخذه ؟!

قم يا أخي .. قم إلى أموالي كلها .. الكثيرة .. فاقسمها قسمين .. واختر النصف الذي يعجبك ، فافعل به ما تشاء !.

ما أعظم هؤلاء !.

مليونير ينزل عن نصف ماله . لرجـــل غريب .. لا لشيء إلا أنه أخوه في الله !

فلنتعلم جميعاً .. كيف كان أغنياء أصحاب رسول الله .. ﷺ ؟

ولكن .. هل كانت أموال سعد . هي كل ما جادت به نفسه لأخيه ؟

كلا .. هناك ما هو أعلى وأغلى . فإن النفس قد تجود بالمال .. ولكنها لا تجود بالحب والحبيب !

ولكن سعدا .. قد جاد بحبه وحبيبته .

فارتفع بما فعل .. فوق ما يطيق البشر !.

وقال لأخيه :

« وتحتي امرأتان ، فانظر أيهما اعجب اليك ، حتى أطلقها » !.

ليس فقط ينزل له عن احدى زوجتيه .. كلا .. وإنما يترك له هو الاختيار .

هاتان هما زوجتاي .. يا أخي .. وكلاهما إلى قلبي حبيبة .

ولكن اختر أيتهما هي أعجب اليك .. أنا أطلقها فوراً .. من أجلك . وحسبي واحدة .

فماذا كان من العظيم .. عبد الرحمن ؟

فاقت مكارمه .. مكارم أخيه .

لقد أبت همة العملاق .. أن يكون عالة على أخيه .

وشمخ عبد الرحمن شموخاً .. طأطأت له الجبال .. وأطلقها تمـــلو على أفهام الرجال .

« بارك الله لك في أهلك ، ومالك ، دلوني على السوق » !

وظل الرجل يتجر .. حتى كثر ماله .

وهكذا بدأ عبد الرحمن من الصفر .

ثم ازداد وازداد حتى صار أغنى الرجال .

المليونير .. ينفق هكذا وهكذا ؟!

قالوا . كان تاجراً محظوظاً في التجارة .

حتى بلغ ما تركه عند وفاته .

أكثر من مليون من الجنيهات بلغة عصرنا !

وحين نقول أن الرجل مات عن أكثر من مليون .. فمعنى هذا أنه أنفق طيلة حياته أكثر من مليون .

لأن الرجل كان يتصدق بغير حساب .

وكان كلما زادت ثروته . زاد صدقاته .

قالوا : تصدق على عهد رسول الله .. ﷺ .. بنصف ماله ، أربعة آلاف .

ثم تصدق بأربعين ألفاً .

ثم تصدق بأربعين ألف دينار .

ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله .. قدمها للجهاد .

ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة (جمل) في سبيل الله .. أي تبرع بها للجيش .

وقالوا : باع أرضاً له بأربعين ألف دينار ، فقسمها في فقراء بني زهرة ، وفي ذوي الحاجة من الناس ، وفي أمهات المؤمنين .

ليس هذا وحده .. بل ان الرجل أوصى عند موته .. بخمسين ألف دينار في سبيل الله !

وأوصى كذلك قبل وفاته ، لكل رجل ممن بقي من أهل بدر ، بأربعمائة دينار ، وكانوا مائة !.

المحرك السري ؟!

لماذا كان عبد الرحمن يبسط يديه كل البسط .. حتى شملت صدقاته كل المجتمع ، غنيه وفقيره ؟!

ما هي القوة الخفية التي كانت تحرك الرجل ؟

ان أحداً لا يرغمه على ذلك .

ولا هو يريد سمعة ولا شهرة .

فقد تنازل طائعاً عن رياسة الدولة ، حين رشحه لها عمر ، ولو أرادها لجاءته تسعى .

فلماذا إذاً .. وما هو ذلك المحرك الذي يهدر في أعماقه .. فيدفع يديه دفعاً أن تنبسطا ؟!

اليك مفتاح القضية .

عن عبد الله بن أبي أوفى :

« ان رسول الله .. ﷺ .. خرج على اصحابه ، اجمع ما كانوا ، فقال :

« اني رأيت الليلة منازلكم في الجنة .

« ثم اقبل على أبي بكر ، وعرفه منزلته .

« ثم اقبل على عثمان، وعلي ، وطلحة، والزبير وعرف كلا منهم منزلته.

« ثم اقبل على عبد الرحمن بن عوف ، فقال :

« لقد ابطأوا بك عنا من بين اصحابي ، حتى خشنت ان تكون هلكت ، وعرقت عرقاً شديداً .

« فقلت لك : ما ابطأ بك ؟

« فقلت : يا رسول الله ، من كثرة مالي ، ما زلت موقوفاً محاسباً ، أسال عن مالي ، من اين اكتسبته ، وفيما انفقته ؟

« فبكى عبد الرحمن ، وقال :

« يا رسول الله ، هذه مائة راحلة ، جاءتني من تجارة مصر ، فاني اشهدك انها لفقراء اهل المدينة ، وأبنائهم ، لعل الله أن يخفف عني ذلك اليوم » .

ذلك هو مفتاح القضية .

وذلك هو المحرك السري .

كل ما يملك للشعب ؟!

قالو : ان عيراً ، سبعمائة راحلة ، قدمت المدينة من الشام ، فسمع لها بين أهل المدينة رجة !

« فقالت عائشة : ما هذه الرجة ؟

« فقال الناس : هذه عير عبد الرحمن بن عوف ، سبعمائة بعير ، تحمل البر والدقيق والطعام .

« وفي رواية أخرى (تحمل من كل شيء) .

« فقالت : سمعت رسول الله .. ﷺ .. يقول :

« قد رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا .

« فبلغ ذلك عبد الرحمن ، فأتاها فسألها عما بلغه ، فحدثته .

« فقال : فإني أشهدك أنهـــا ، بأحمالها وأقتابها (الرحل) وأحلاسها (ما يوضع تحت الرحل) في سبيل الله عز وجل » .

أرأيت ؟! هذه صدقة واحدة من صدقات عبد الرحمن !

فكيف بصدقات الرجل التي لم يسجلها التاريخ .. والتي كان يخفيها عن الناس .. ابتغاء مرضاة الله ؟!

وأكبر ظني أن صدقات السر .. كانت أكثر وأكبر .. من صدقاته في العلن.

فليس من شك أنه كان ينفق سراً .. أضعاف ما كان ينفقه علانية .

ان الرجل الذي هو أحد العشرة .. الذين بشرهم رسول الله .. ﷺ .. بالجنة .. يعلم جزاء صدقات السر .. ولا تخفى عليه !

وكذلك كان عبد الرحمن .

أمواله كلها .. لله .. للشعب .. سراً وعلانية !.

خشينا .. أن تكون حسناتنا .. عجلت لنا ؟!

وأخرى .. أبدع .. وأعجب .

روى البخاري قال :

« أتى عبد الرحمن بن عوف بطعام ، وكان صائماً فقال :

« قتل مصعب بن عمير ، وهو خير مني ، وكفن في بردة ، ان غطي رأسه بدت رجلاه ، وإن غطى رجلاه بدا رأسه .

« وقتل حمزة ، وهو خير مني ، فلم يوجد له ما يكفن فيه ، إلا بردة .

« ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط .

« أو قال : اعطينا من الدنيا ما اعطينا .

« وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا .

« ثم جعل يبكي .

« حتى ترك الطعام » .

هذا هو الرجل ؟!

ايه .. عبد الرحمن .

أي الناس أنتم ؟!

المليونير .. ما زال يبكي ؟!

قال نوفل بن اياس :

« كان عبد الرحمن لنا جليساً ، وكان نعم الجليس .
« وانه مضى بنا حتى دخلنا بيته .
« ودخل فاغتسل .
« ثم خرج فجلس معنا .
« وأتينا بصحفة فيها خبز ولحم .
« فلما وضعت .
« بكى عبد الرحمن بن عوف .
« فقلنا له : يا أبا محمد ، ما يبكيك ؟!
« قال : هلك رسول الله .. ﷺ .. ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير .
« ولا أرانا اخرنا لما هو خير لنا » .
لقد كان هذا المليونير .. طرازاً من الأغنياء .. لا مثيل له في هذا الزمان !
كان غنياً . ولكن المال لم يفتنه .
كلما زاده الله .. ازداد انفاقاً في سبيل الله .
كأنما هو في سباق .. مع القدر !
وفتحت له الدنيا ذراعيها إلى أقصاها .. فأخذها الرجل .. وألقاها إلى الشعب !.
ونجح المليونير في الامتحان .
ولقي ربه .. وهو عنه راض !.
والشعب عنه راض .

الحكم .. في القضية ؟!

والآن .. هذا هو عبد الرحمن .. مليونير المدينة .. وهذا كان سلوكه .. دائم الإنفاق في سبيل الله .. في الشعب .

فلماذا إذاً .. ثار أبو ذر .. ثورته .. وحكم عليه ذلك الحكم الشديد ؟!

لماذا حين قال كعب في عبد الرحمن : اني لأرجو له خيراً .. غضب أبو ذر ورفع العصا على كعب .. وقال :

« يا ابن اليهودية ، ليودن صاحب هذا المال يوم القيامة لو كانت عقارب تلسع السويداء من قلبه » !.

الى آخر الروايات التي افتتحنا بها هذا الفصل .

وماذا يطلب من عبد الرحمن .. أن يفعل أكثر مما فعل ؟!

بمفهوم عصرنا .. لقد صنع عبد الرحمن أقصى ما يستطيع بشر أن يصنع .. ولا شيء عليه بعد ذلك .

وبمفهوم أبي ذر .. كان ينبغي .. ويتحتم على عبد الرحمن بن عوف .. أن يتصدق بكل ما يملك قبل وفاته .. ولا يبقي إلا على قليل جــــداً .. يكفي ضرورات أولاده .. ليحتفظ لنفسه بأعلى المقامات عند ربه .. ويكون قريباً من رسول الله .. ﷺ !.

ان أبا ذر .. يريد لعبد الرحمن .. أعلى المقامات .

وهذا ما فجر الثورة منه .. حين رأى ما رأى .. مما تركه عبد الرحمن عند وفاته من أموال !.

يعيش وحـــده ؟!

أحسبتني منهم

ضاق أمير المؤمنين عثمان .. بأبي ذر . فقد كثر حوله القيل والقال .

أما الأغنياء فمنه يفرون .. وأما الفقراء فعليه يتجمعون !.

وخشي أبو ذر أن يظن عثمان به الظنون .. ويصدق فيه قول القائلين .. انه من أهل الفتنة .

فأقبل أبو ذر يسعى إلى أمير المؤمنين .. ودخل عليه .. في جماعة من قومه .

قالوا : « فما بدأه بشيء إلا ان قال :

« أحسبتني منهم ، يا أمير المؤمنين ؟!

« والله ما أنا منهم ، ولا ادركهم .

« ولو امرتني ان آخذ بعرقوتي[1] قتب[2] لأخذت بهما حتى أموت » .

وأعلن أبو ذر براءته .. على ملأ من قومه .. ومن قوم عثمان وحاشيته .

وكان هذا لازماً من الرجل .. في وقت أطلت فيه رؤوس الفتنة .. وفي دولة كانت ترقص على بركان .

---

(١) خشبتان تضمان ما بين وسط الرجل وآخره .
(٢) رحل .

ان شئت .. تنحيت .. فكنت قريباً ؟!

ان منطق أبي ذر لا يقاوم .

لأن الشريعة تؤيده .. والشعب يؤيده .

ولكن الدولة ليست هي الفقراء وحدهم .

وإنما هناك الأغنياء .. والذين لا يرون رأي أبي ذر .

وعثمان كرئيس لتلك الدولة الكبرى .. مسئول عن الجميع .. ومسئول عن الأمن . ومسئول عن حفظ الحريات كلها .. فلا تطغى طبقة على حرية طبقة .

حتى كانت المقابلة يوماً .. بين الرجلين .. فأخبره عثمان بما يدور في نفسه .. وقال له في رفق :

« ان شئت تنحيت فكنت قريبا » .

ان شئت يا أبا ذر .. ابتعدت عن المدينة .. وأقمت في مكان قريب منها .

أرى يا أبا ذر .. أن تبتعد عن عاصمة الدولة .. حتى لا يظن انك شريك في الفتنة .. وحتى لا يستغل المغرضون دعوتك هذه لحسابهم .. ويحولوها عن وجهها .

ان شئت ؟!

لا أرغمك .. وإنما بمحض اختيارك يا أخي .

تنحيت ؟! ابتعدت عن دوامة الفتن .

فكنت قريباً .. لا تحرمنا لقاءك ، ونصحك لنا .. بين الحين والحين ؟.

وهذا جمال من القول .. وجلال من سمـــو الخلق .. يتلألآن من أمير المؤمنين .. في هذا المقام !

حوار .. الأنوار ؟!

رووا حواراً .

دار بين العظيمين .. حتى توافقا على اختيار الربذة .. مكاناً يقيم فيه أبو ذر .

نسجله هنا . لنعلم كيف كان هؤلاء يتفاهمون ؟

وعثمان – ما اكثر أذاك لي .. دار عني وجهك .

ابو ذر – أسير الى مكة ؟

عثمان – لا والله .

أبو ذر – فتمنعني من بيت ربي،أعبده فيه حتى أموت؟

عثمان – اي والله .

ابو ذر – فالى الشام ؟

عثمان – لا والله .

ابو ذر – البصرة .

عثمان – لا والله .. فاختر غير هذه البلدان .

ابو ذر لا والله ، ما اختار غير ما ذكرت لك ، ولو تركتني في دار هجرتي ما اردت شيئاً من البلدان ، فسيرني حيث شئت من البلدان .

عثمان – فاني مسيرك إلى الربذة » .

هذا حوار ذكروه .. فيما كان بين العظيمين .

قالوا : وانصرف من عنده مبتسماً .

« وقال له الناس : ما لك ولأمير المؤمنين ؟

« قال : سامع مطيع ، ولو أمرني أن آتي صنعاء أو عدن لفعلت » !.

إلى الربذة ؟!

أمر أمير المؤمنين عثمان .. مروان .. أن يخرج بأبي ذر .. إلى الربذة .

ونهى أمير المؤمنين الناس أن يصحبوه في مسيره .. أو يشيعوه .

وامتطى أبو ذر راحلة .. وامتطى مروان أخرى .

وانطلقا .. الى الربذة .

وصدع الناس لأمر أمير المؤمنين .. فتجافوا أبا ذر .

وهكذا خرج الرجل وحيداً .

وغادر العاصمة وحيداً .

زوجة البطل .. بجوار البطل ؟!

وعلم معاوية .. نائب أمير المؤمنين بالشام .. أن عثمان قد أخرج أبا ذر إلى الربذة .

فذهب إلى زوجة أبي ذر .. وكان قد خلفها بالشام .. وطلب منها أن تخرج من الشام . لتلحق بزوجها بالربذة .

وخرجت زوجة البطل .. لتقف إلى جوار البطل !.

خرجت مسافرة .. ومعها جراب .

فالتفت معاوية إلى من حوله .

وأشار إلى الجراب .. وقال :

« انظروا إلى هذا الذي يزهد في الدنيا .. ما عنده » ؟

ونظر الجميع .. وظنوا ظن السوء !

ها هي امرأته تخرج .. ومعها جراب ممتلىء بالذهب والفضة .

فأين إذاً هذا الزهد الذي يدعو اليه أبو ذر ؟

لقد أصابوا من العملاق مقتلاً !

هنالك .. يغـــار الله .. لأوليائه .. ويدافع عنهم .. وينشر صفحتهم بيضاء للناظرين !

قالت امرأة البطل :

« اما والله ، ما هو بدينار ولا درهم ، ولكنها فلوس ، كان إذا خرج عطاؤه ، ابتاع منه فلوسا لحوائجنا » .

ولكنها فلوس ؟!

بلغة اليوم .. ملاليم .. تركها العملاق لضرورات زوجته .

وكان ظناً .. ارتفع به عملاق الحقيقة .. ارتفاعاً عظيماً !.

ان الله يدافع عن الذين آمنوا !.

مرة ثانية .. تحديد إقامة البطل ؟!

وهنالك .. في الربذة .. على بعد أميال من المدينة .. عاصمة الدولة الكبرى أقام أبو ذر .. بعيداً عن تيارات السياسة وأمواج الفتنة .

وجاءته امرأته من الشام .. وانضمت اليه .

فماذا وجدت الزوجة .. حين وصلت إلى زوجها ؟

وجدته قد ابتنى مسجداً !

ووجدت أمير المؤمنين .. قد أقطعه صرمة[1] من الإبل .. وأعطاه مملوكين وقرر له كل يوم عطاء !

ما هـــذا ؟!

هـــذا عثمان .. كريم في أمره كله .. فكيف والأمر أمر أبي ذر صاحب رسول الله .. ﷺ .

هذا هو أبو ذر .. قد منحه القدر الفرصة .. ليحقق في حياته ما يدعو اليه .

ليعيش الحياة .. التي يعتقد أنها الأرقى !

فضاء رحيب يمتد من حوله .. يدفع إلى التأمل في ملكوت الله .

ورزق قليل .. يكفيه .. ولا يفيض عنه .

ورجلان قويان .. يعملان معه .

وزوجة رقيقة الحال .. سوداء .. شعثة .. ليست خلابة .. ولا فائقة الجمال .. قد عرفت من أحواله كلها .. فهي تصبر معه .

---

(١) مجموعة ما بين العشرة إلى الأربعين .

ومسجد بسيط .. يؤم فيه القلة التي قد تحضر معه جماعة الصلاة .
وعاش أبو ذر .. مبادئه .. وربانيته .. كما شاء .
حراً من كل قيد .
ان أمير المؤمنين قد حظر عليه الإقامة في غير هذه الربذة .
إلا أن الرجل كان حراً .. لأنه يعيش مبادئه .. وأخلاقه .
والنفوس العليا .. لا يقر لها قرار حتى تعيش مبادئها !.

أبو ذر .. يحقق المساواة ؟!

ما ان حددت إقامته بالربذة .. حتى اعتبرها فرصة نادرة لتحقيق اشتراكيته .

ما ان حل بالربذة .. حتى أسس مجتمعه كما يريد .

أبو ذر الغفاري .. رئيس المجتمع .. يعيش كسائر أفراد المجتمع في كل شيء .. في ملبسه .. في منزله .. لا فاضل ولا مفضول !

ثم هناك مسجد .. بيت الله .. بسيط غاية البساطة .. للجميع .

ثم هناك خباء (خيمة) غاية في البساطة كذلك .. يأوي اليها أبو ذر وزوجه .

ومعه عاملان .. يقومان بإعانته .. ينعمان بكل ما لأبي ذر .. من حقوق .

مستوى الطعام واحد .

مستوى الملابس واحد .

مستوى حرية الرأي واحد .

وإليك دليل كل هذا .

« عن المعرور قال :

« لقيت ابا ذر بالربذة .

« وعليه حلة ، وعلى غلامه حلة .

« فسألته في ذلك فقال :

« اني سابيت رجلا ، فعيرته بأمه .

« فقال لي النبي .. ﷺ :

« يا ابا ذر ، أعيرته بأمه ؟

« انك امرؤ فيك جاهلية .

« اخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت ايديكم .

« فمن كان اخوه تحت يده ، فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس .

« ولا تكلفوهم ما يغلبهم .

« فان كلفتموهم فأعينوهم » .

[أخرجه البخاري]

أي شيء يبهرنا من تلك الواقعة ؟

مر المعرور على تلك الدويلة الاشتراكية .. التي أقامهـــا أبو ذر .. من نفسه .. وامرأته .. وغلامين .. وجارية أعتقها .. فأبت أن تتركه ولزمته بالربذة .. لتعيش معه تلك الدولة المثالية .

فماذا وجد المعرور ؟!

وجد أبا ذر يلبس ثوباً جديداً ، وعلى غلامه ثوب مثله تماماً !

فدهش المعرور .. وسأله عن السر في تساويهما في نوع الثياب التي عليهما ؟

مع أن عادة العرب .. أن تكون ثياب المملوك دون ثياب السيد .

فقص عليه أبو ذر قصته .

وكان من قصته ما قال له رسول الله .. ﷺ :

« فمن كان أخوه تحت يده .

« فليطعمه مما يأكل .

« وليلبسه مما يلبس » .

فليطعمه مما يأكل ؟!

طعام العبد كطعام السيد .. يطعمه من نفس الأكل الذي يأكل .

وليلبسه مما يلبس ؟.

مساواة تامة في الملابس .. كما طالب بالمساواة في المأكل !.

« ولا تكلفوهم ما يغلبهم » ؟. لا تحملوهم من الأمر ما يشق عليهم .

« فإن كلفتموهم فأعينوهم » .. فعليكم أن تضعوا أيديكم في نفس العمل الذي يعملون .. سواء بسواء .. لا فضل لكم عليهم .

ومن يوم أن تلقى أبو ذر .. ذلك التوجيه الأعلى .. من رسول الله .. ﷺ .. وصوت يدوي في أعماقه .

أطعموهم مما تطعمون !.. وألبسوهم مما تلبسون !..

فلما أتاحت له المقادير .. أن يعيش وحده .. كان ذلك الذي سمعه من رسول الله .. ﷺ .. هو دستور دولته الصغرى .

الجميع .. يلبسون ملابس متساوية .

ويأكلون أكلاً متساوياً .

ويسكنون سكناً متساوياً .

ويعملون عملاً متساوياً .

انها الاشتراكية الربانية !.

المنفى .. مصدر إشعاع ؟!

وأصبحت الربذة .. مصدر إشعاع .. يحج اليه الناس .. ليروا بأنفسهم نموذجاً صادقاً لدعوة رسول الله .. ﷺ .

أقامه أبو ذر .. من نفسه .. ومن النفر القليل الذين يعيشون معه .

هو وحده الذي يعيش على الحال .. التي تركه عليها رسول الله .. ﷺ .

ولقد شهد للرجل بذلك .. علي .. وما أدراك ما علي ؟!

فقال :

« لم يبق اليوم احد ، لا يبالي في الله لومة لائم ، غير ابي ذر .

« ولا نفسي .

« وأشار إلى صدره » !.

وهذا يسجل إحساس الأمة كلها .. نحو أبي ذر !

ومن هنا كان صوت أبي ذر .. هو صوت الأمة .

إذ تحدث اهتزت الدولة .. وتكهرب الجو كله !

فلما أخرجوه إلى الربذة.. أحست الجماهير بحنين شديد.. إلى سماع صوته .

ليسمعوا في صوته .. صوت النبي .. ﷺ !.

مشهد .. تذوب منه الجبال ؟!

وأقبل موسم الحج .

وإذا قلنا موسم الحج في عهد عثمان .. فإنما نعني ملايين تتدفق كالموج الهادر إلى بيت الله الحرام .

وتدفق الناس الى الحج .. وكثر مرورهم على الربذة .

وكانوا يصلون بمسجد أبي ذر .. ويتحدثون اليه .

رجل لم تستطع الدنيا بمن فيها .. وما فيها أن تغير منه شيئاً .. عما كان عليه .. على عهد رسول .. ﷺ .

فالظفر برؤيته .. وسماعه .. يعتبر عند الذين يحبون رسول الله .. ﷺ .. غاية المنى

أقبل بعض الحجيج .. فوجدوه قائماً .. يصلي .

فانتظروه حتى فرغ من صلاته .

فلما رآهم أبو ذر قال لهم : هلموا إلى الأخ الناصح الشفيق .

ثم بكى أبو ذر .. واشتد بكاؤه !

وقال :

« قتلني حب يوم لا ادركه » .

قالوا . « وما يوم لا تدركه » ؟

فقال :

« طول الأمل » .

وجلس أبو ذر .

فجلس الناس اليه .

كيف كان منظره وهو يبكي ؟

ما كان الرجل ذا أمل طويل .. ولا مستطيل .

وإنما هو بكاء الكبار .. أهل الأنوار !

ونخرج من ذلك المشهد .. لندخل إلى آخر .. أبهج وأبدع !

خاض بعض القوم في عثمان .. فغضب .. ونهاهم عما فيه يتحدثون !

وسار أبو ذر .. حتى بلغ داره فجلس على قطعة جوالق (خيش) .. فأقبل نحوه رجل كان قد رأى زوجته .. فوجدها شعثة سحماء سوداء .

فجلس اليه .. وقال له : انك امرؤ ما تبقى لك ولد ؟!

فقال أبو ذر :

« الحمد لله الذي يأخذهم ، من دار الفناء ، ويدخرهم في دار البقاء » .

وكان هذا السائل .. أراد أن يشير عليه أن يتزوج زوجات جميلات يلدن له ذكوراً وإناثاً .

فقال : يا أبا ذر ، لو اتخذت امرأة غير هذه ؟

فأجابه عملاق الحقيقة :

« **لأن اتزوج امرأة تضعني .**

« **احب إلي من امرأة ترفعني » .**

ثم قال له هذا الذي يشفق عليه : لو اتخذت بساطاً ألين من هذا ؟

فكان جواب العملاق :

« **اللهم غفرا ، خذ مما خولت ما بدا لك » .**

وكانت مشاهد .

يجمعها بحر واحد .

هو رغبة الرجل فيما عند الله .

وأن يبقى على الحال التي تركه رسول الله .. ﷺ .. عليها .

أسعد .. إنسان ؟!

ولنستمع الآن .. إلى أبي ذر .. يتحدث عن مجتمعه .. الذي حقق فيه .. الحياة التي كان يحبها .. وكان يعتقد أنها ترضي الله .. ورسوله .. ﷺ .

« **اني اقربكم مجلساً ، من رسول الله .. ﷺ .. يوم القيامة .**

« **وذلك اني سمعته يقول :**

« ان اقربكم مني مجلسا ، من خرج من الدنيا ، كهيئة يوم تركته فيها .

« وإنه والله ما منكم من احد ، إلا وقد تشبث بشيء منها ، غيري » .

ان الرجل يكاد يطير سروراً .

لم يتغير .. لا في مظهر .. ولا في جوهر !

لقد فاز .. فاز فوزاً عظيماً .

حديث صحفي .. لعملاق الحقيقة؟!

ووقف .. يدلي بحديث خطير إلى من حوله .. عن أسلوب حياته .. في مجتمعه العجيب .

« عندنا اعنز نحلبها .

« وحمر تنقل .

« ومحررة تخدمنا .

« وفضل عباءة عن كسوتنا .

« وإني اخاف ان احاسب على الفضل » .

أعنز نحلبها .. عدد قليل من الماعز .. يحلبها .. ويوزع لبنها على الجماهير .. قبل نفسه .

الشعب يأكل أولاً .

عن الفزاري قال :

« اخبرني من رأى ابا ذر ، يحلب غنيمة له .

« فيبدأ بجيرانه ، وأضيافه ، قبل نفسه .

« ولقد رأيته ليلة حلب ، حتى ما بقي في ضروع غنمه شيء .

« وقرب اليهم تمراً ، وهو يسير .

« ثم تعذر اليهم وقال : لو كان عندنا ما هو افضل من هذا لجئنا به .

« وما رأيته ذاق تلك الليلة شيئاً » !.

ما هذا ؟! هذا شيء فوق طاقة البشر .

رجل يطبق على نفسه .. أشق وأشد أساليب الحياة .

ثم لا يقف بنفسه عند تلك الشدة .. حتى يرتفع بهـا أكثر فأكثر .

فيذهب بنفسه يحلب الأغنام المعدودة التي يملكها .

ثم يعلوا ويعلوا .. فلا يذكر نفسه الجائعة .

وإنما يبدأ بجيرانه أولاً .. أولئك الأعراب الذين يعيشون قريباً منه .. في تلك الصحراء .

ثم يعلو ويعلو ويعلو .. فيبدأ بأضيافه .. ان كان عنده في ذلـك اليوم أضياف .. مروا عليه وهم في طريقهم الى المدينة أو منها .

ثم يزداد علواً .. حين يقرب كل ما يملك .. ولا يبقي على شيء لنفسه وأهله .

ومع هذا يعتذر اليهم في تلك الكلمات الخالدات الباقيات : لو كان عندنا ما هو أفضل من هذا لجئنا به .

هذا هو أبو ذر .

أيهـا الناس جميعاً .

فهل في عالمكم اليوم .. رجل يبلغ شيئاً قليلاً مما بلغه عملاق الحقيقة ؟

فاشهدي يا دنيا .

ان أبا ذر .. بلغ نحو ١٤٠٠ سنة .. ما عجزت الحضارة القائمة كلها .. أن تبلغ أدنى شيء منه ؟!

« وما رأيته ذاق تلك الليلة شيئاً » .

انفجري أيتها العيون بكاءً .. وانهمري دموعاً .

وانظروا كيف قضى أبو ذر ليلته .. قضاها جائعاً .. لم يذق شيئاً .

لماذا ؟. لأنه اثر أضيافه بما يملك من تمر وألبان !

هؤلاء هم رجالنا .

نرفعهم دائماً وأبداً .. في وجوه الذين يريدون منا .. أن نتحول عن تراثنا.

ثم ماذا ؟. ثم يسترسل قائد المجتمع الرباني : وحمر تنقل .

عندنا عدد قليل من الحمير .. تنقل أثقالنا .. عندنا وسائل النقل اللازمة لمجتمعنا .

« ومحررة تخدمنا » عندنا امرأة مملوكة .. أعتقناها لوجه الله .. وحررناها من ذل الرق .. فأبت أن تذهب .. ولزمتنا تخدمنا .. فتلك صدقة منها تصدقت بها علينا .

« وفضل عباءة عن كسوتنا » وعندنا عباءة واحدة .. تزيد عن كسوتي التي تواري عورتي .

ثم يرتجف الرجل .. ويعلن أنه يخاف على نفسه أن يحاسب عليها « وإني أخاف أن أحاسب على الفضل » .

من يطبق هذا ؟

اللهم لا أحد .. في زماننا هذا .

أي نعمة أفضل .. مما نحن فيه ؟!

عن عطاء بن أبي مروان قال :

« رأيت أبا ذر ، في نمرة مؤتزراً بها ، قائماً يصلي .

« فقلت : يا أبا ذر ، أما لك ثوب غير هذه النمرة ؟

« قال : لو كان لي لرأيته علي .

« قلت : فإني رأيت عليك من أيام ثوبين ؟

« فقال : يا ابن أخي ، أعطيتهما من هو أحوج اليهما مني .

« قلت : والله انك لمحتاج اليهما .

« فقال : اللهم غفرا .. انك لمعظم للدنيا .. أليس ترى علي هذه البردة ؟

« ولي أخرى للمسجد .

« ولي أعنز نحلبها .

« ولي حمر نحتمل عليها ميرتنا .

وعندنا من يخدمنا ، ويكفينا مهنة طعامنا .

« وأي نعمة أفضل مما نحن فيه » ؟

هذا بيان للناس .. من أبي ذر !

رجـــل يرى سعادته .. أن يعيش كما يحب الله ويرضى .. لا كما يحب ويشتهي .

عرض .. تليفزيوني ؟!

في لغة عصرنا هذا .

نقدم إلى عالم اليوم .. عرضاً تليفزيونياً للمجتمع الاشتراكي الرباني .. الذي أسسه أبو ذر .

هناك على أميال من العاصمة . وفي الصحراء الواسعة .. يقع مكان الربذة .

نزل به أبو ذر .. وزوجته .. وغلامان .. ومولاة له .

له خيمة بسيطة .. يعيش فيها .

ولهم عدد من الإبل .. وعدد من الأغنام .. وعدد من الحمر .

ومسجد بسيط البناء .

وبالقرب منهم .. عدد قليل من الأعراب .. في خيامهم .

وبين الحين والحين يفد بعض المسافرين .. ليؤدوا الصلاة في جماعة .. أو يبيتوا بالربذة إلى حين سفرهم .

وأبو ذر .. يتنقل بين تلك المشاهد المتتابعة .

أما الملابس فموحدة بين أبي ذر وغلاميه .

وموحدة بين زوجه .. والخادمة .

وأما الطعام فموحد بين الجميع .

والأولوية للأضياف .. والجيران .

هذه لقطات سريعة .. تليفزيونية .. تصور لنـــا كيف الحياة في ذلك المجتمع الصغير .

الذي أقامه أبو ذر .. على اساس من الاشتراكية الربانية .

أبو ذر .. في مؤتمر عالمي ؟!

وأخيراً . استأذن أبو ذر .. أمير المؤمنين .. في الحج .. فأذن له .

وهناك حيث يجتمع العالم كله .

وتتلاقى البشرية كلها .. ممثلة فيمن ذهب منها لأداء الفريضة .

وقف العملاق خطيباً .

عن سفيان الثوري قال :

« قام أبو ذر الغفاري ، عند الكعبة ، وقال :

« يا أيها الناس ، أنا جندب الغفاري ، هلموا إلى الأخ الناصح الشفيق .

« فاكتنفه الناس .. فقال :

« أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفراً ، أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه؟

« قالوا : بلى .

« قال : فسفر طريق القيامة أبعد مما ترون .

« فخذوا له ما يصلحكم .

« قالوا : وما يصلحنا ؟

« قال : حجوا حجة لعظائم الأمور .

« صوموا في الدنيا لحر يوم النشور .

« صلوا في ظلمة الليل لوحشة القبور .

« تصدق بمالك لعلك تنجو من عسيرها » .

تصدق بمالك ؟!

اشعاع جبار .. هدار .. فوار .. يقتحم على النفوس شحها .

ويدفعها دفعاً .. أن تبذل أموالها .. لعلها تنجو ؟!

ينابيع ... ثورة ... أبي ذر ؟!...

كان أبو ذر .. عملاقاً من عمالقة الحقيقة .
كان نهراً جارياً . ينبع من بحر الحقيقة .
فما هي ينابيع .. ذلك النهر الخالد ؟.

ولكن .. أشبع يوماً .. وأجوع يوماً ؟!

« عن النبي ﷺ قال .
« عرض علي ربي .
« ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا .
« قلت : لا يا رب .
« ولكن اشبع يوما ، وأجوع يوما .
« وقال ثلاثا أو نحو هذا .
« فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك .
« وإذا شبعت شكرتك وحمدتك » .

[اخرجه الترمذي]

هذا هو النبع الصافي .
الذي ترقرقت منه ثورة أبي ذر .
لقد كان الرجل .. يأخذ من هناك .. من الأفق الأعلى .
ان الرجل لم يكن يجهل ما يذهبون اليه .
ولكنه كان يريدهم أن يرتفعوا .. إلى تلك الآفاق العلى .

وكان رزقه كفافا ؟!

قال رسول الله .. ﷺ :

« قد افلح .

« من أسلم .

« وكان رزقه كفافاً .

« وقنعه الله » .

[اخرجه الترمذي]

وكان رزقه كفافاً ؟!

وكان نصيبه من المال .. ما يكفيه .. لا يحتاج ولا يفيض عنه .

وقنعه الله ؟! فأصبح يرى القليل كثيراً .

ولقد سمع أبو ذر .. مثل هذا التوجيه .. واشرب قلبه أن يكون كذلك .

وأبى أن يتحول عن ذلك الأسلوب .

وكان يحب للناس .. أن يكونوا كذلك .

ان في المال لحقا .. سوى الزكاة ؟!

« سئل النبي .. ﷺ .. عن الزكاة ، فقال :

« ان في المال لحقا سوى الزكاة .

« ثم تلا هذه الآية ، التي في البقرة (ليس البر أن تولوا وجوهكم) الآية » .

[اخرجه الترمذي]

وزلزل بها أبو ذر .. بنيان أكبر دولة شهدها التاريخ .
ومن هنا وقف العملاق .. يجلجل بها ويصك بها أسماعهم جميعاً .

فتنة امتي .. المال ؟!

« عن النبي ﷺ .. يقول :
« ان لكل أمة فتنة .
« وفتنة أمتي المال .

[اخرجه الترمذي]

ينبوع آخر .. من ينابيع ثورة أبي ذر .
كان يدرك منه .. أن هذه الأمة سوف تفتن .
وسوف تكون فتنتها في المـــال .. في الدنيا .
وقد كان .
ووقف أبو ذر وحيداً .. يصرخ في الأمة .
إلا أن صرخته .. ابتلعتها أمواج الفتنة .. التي كانت تموج موج البحر .
وغلب هنالك أبو ذر .

توفير .. الضرورات أولاً ؟!

« عن عثمان بن عفان .
« ان النبي .. ﷺ .. قال :

« ليس لابن آدم حق ، في سوى هذه الخصال .

« بيت يسكنه .

« وثوب يواري عورته .

« وجلف الخبز » .

« والماء .

[اخرجه الترمذي]

هذه هي حقوق كل إنسان .. على الدولة

أو الضرورات .. التي ينبغي على الدولة .. أن توفرها لكل فرد فيها .. قبل أن تنفق في الكماليات .

بيت يسكنه ؟. مسكن مناسب .

ثوب يواري عورته ؟. ملابس مناسبة .

جلف الخبز ؟. (يعني ليس معه ادام) أي .. رغيف الخبز .

والمـــاء ؟. والماء النقي .. الذي يلزم حياته .

هذا هو الحد الأدنى .. الذي ينبغي أن تكفله الدولة لكل مواطن .

المسكن .. والملبس .. والطعام .. والمـــاء النقي .

فلا يجوز للدولة .. أن تنفق في الكماليات .. قبل أن توفر ذلك لجميع الشعب .

ذلك هو أحد الينابيع الخالدة .. التي استقى منها أبو ذر .

فانبعث يجاهد الدولة كلها .. ليردها إلى ذلك المفهوم .

أن تحرم على الأغنياء الإسراف والإنفاق في الكماليات .. حتى تتوفر لجميع الفقراء تلك الضرورات .

الأخسرون .. الأكثرون أموالاً ؟!

« عن أبي ذر قال :

« انتهيت الى النبي .. ﷺ .. وهو جالس في ظل الكعبة .

« فلما رآني قال :

« هم الأخسرون ورب الكعبة .

« قال : فجئت حتى جلست ، فلم أتقار ان قمت فقلت : يا رسول، فداك أبي وأمي ، من هم ؟

« قال : هم الأكثرون أموالا .

« إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا .

« — من بين يديه ، ومن خلفه وعن يمينه ، وعن شماله — .

« وقليل ما هم » .

[اخرجه مسلم]

قال الأقدمون :

« لم أتقار » لم يمكني القرار والثبات « فيه الحث على الصدقة في وجوه الخير وأنه لا يقتصر على نوع من وجوه البر ، بل ينفق في كل وجه من وجوه الخير » .

ما أخطر .. ذلك الحديث .

الأكثرون أموالاً .. هم الأخسرون .. إلا من أنفق أمواله في جميع وجوه الخير .. وقليل ما هم أولئك الذين يفعلون هذا .

ان امساك المال .. هو أغلظ حجاب .. بين الإنسان وربه .

يندر جداً .. أن تجد غنيــاً ينفق هكذا وهكذا وهكذا . كما أشار رسول الله .. ﷺ .

واستمع أبو ذر .. إلى ذلك الناموس الخطير .. يلقيه اليه رسول الله .. ﷺ .. فيزلزل كيانه كله . ويستقر في أعماقه استقراراً .

ومن يومها .. كان أبو ذر .. قد اتخذ قراراً بينه وبين نفسه .. ألا يكون غنياً أبداً .. وألا يمسك مالاً يفيض عن ضروراته .. كيلا يكون من الأخسرين الذين أقسم رسول الله .. ﷺ .. على خسرانهم .

ومن يومها وذلك الينبوع الخالد .. يدوي في أعماق الرجل .. ويدفعه دفعاً أن يقاوم الغنى والترف .. ليقاوم الخسران في نفوس الناس .

وحين وقف العملاق .. يعلن ثورته الكبرى على الأغنياء .

كان يستجيب لذلك القانون الخالد .. الذي استقر في أعماقه .. من يوم أن سمعه من رسول الله .. ﷺ .. في ظلال الكعبة .

الينبوع .. الاعظم ؟!

« عن أبي ذر قال :

« كنت أمشي مع النبي .. ﷺ .. في حرة المدينة ، عشاء .

« ونحن ننظر الى أحد .

« فقال لي رسول الله .. ﷺ :

« يا أبا ذر .

« قال : قلت : لبيك يا رسول الله .

« ما أحب ان احداً ذاك عندي ذهب ، امسى ثالثة ، عندي منه دينار .

« إلا ديناراً ، أرصده لدين .

« إلا ان اقول به في عباد الله ، هكذا – حثـــا بين يديه – وهكذا – عن يمينه – وهكذا – عن شماله – .

« قال : ثم مشينا .

« فقال : يا ابا ذر .

« قال : قلت : لبيك يا رسول الله .

« قال : ان الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة ، إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا .

« مثل ما صنع في المرة الأولى .

« قال : ثم مشينا .

« قال : يا ابا ذر ، كما انت حتى آتيك .

« قال : فانطلق ، حتى توارى عني .

« قال : سمعت لغطا ، وسمعت صوتا .

« قال : فقلت : لعل رسول الله .. ﷺ .. عرض له ؟

« قال : فهممت أن أتبعه .

« قال : ثم ذكرت قوله : لا تبرح حتى آتيك .

« قال : فانتظرته ، فلما جاء ذكرت له الذي سمعت .

« قال : فقال : ذاك جبريل ، اتاني ، فقال : من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة .

« قال : قلت : وإن زنى وإن سرق ؟

« قال : وإن زنى وإن سرق » .

[اخرجه مسلم]

« سمعت لغطا » جلبة وصوتاً غير مفهوم .

ذلك هو الينبوع الأعظم .. الذي شرب منه أبو ذر .. وشرب !

الذي تكونت منه .. شخصية الرجل .

وإنها لقصة .. أجمل قصة !

انها لأسعد لحظة في حياة أبي ذر !

كيف لا ؟ وقـــد ظفر بشرف المشي .. مع النبي .. ﷺ .. وحدهما .. لا أحد معهما ؟!

في ظلام من الليل .. يمشيان معاً .. في ذلك المكان المسمى بالحرة .. وهي الأرض الملبسة بالحجارة السوداء .. حول المدينة .

كانا .. ينظران إلى جبل احد .

انها لحظة فاصلة .. في حياة أبي ذر .

لحظة يخلو فيها .. برسول الله .. ﷺ .

وناداه : يا أبا ذر .

فأجاب : لبيك يا رسول الله .

فقال له رسول الله .. ﷺ :

« ما أحب أن أحداً ذاك عندي ذهب ، أمسى ثالثة ، عندي منه دينار ، إلا ديناراً ، أرصدته لدين ، إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا » .

اشارة منه .. ﷺ .. إلى بذل الأموال في كل الاتجاهات .

ثم يقول أبو ذر : ثم مشينا !

انها لخطوات خالدات .. تلك التي استمتع بها أبو ذر وحده .. مع رسول الله .. ﷺ .

وناداه .. مرة أخرى : يا أبا ذر .

وأجاب : لبيك يا رسول الله .

فقال ﷺ : ان الأكثرين هم الأقلون يوم القيـــامة ، إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا .

واستمع أبو ذر كرة أخرى .. إلى أسرار عظمى .. يخصه بها رسول الله ﷺ .

فدوت في أعماقه .. ولم تغادرها حتى لقي الله

خطوة .. خطوة .. مع رسول الله .. ﷺ .. في ظلام .. في سكون .. في خـــلاء .

فتلقى أبو ذر .. ما تلقى .

انها أصل عام .. في بناء تفكير أبي ذر .. وبناء نظريته العامة في الأموال.

لقد ألقي إليه ﷺ .. بمقاليد العلوم الاقتصادية جميعاً .. وكشف له عن أسرارها .. ووضع في يده مفتاحها !

ففاق أبو ذر بذلك .. كل ما عرفت الدنيا أو تعرف من فنون الإقتصاد .

في ظل .. القمر ؟!

عن أبي ذر قال :

« خرجت ليلة من الليالي .

« فاذا رسول الله .. ﷺ .. يمشي وحده ، ليس معه انسان .

« قال : فظننت انه يكره ان يمشي معه أحد .

« قال : فجعلت أمشي في ظل القمر

« فالتفت فرآني .

« فقال : من هذا ؟

« فقلت : ابو ذر ، جعلني الله فداك

قال : يا أبا ذر ، تعاله .

« قال : فمشيت معه ساعة .

« قال : ان المكثرين هم المقلون يوم القيامة .

« الا من أعطاه الله خيراً .

« فنفح فيه يمينه ، وشماله ، وبين يديه ، ووراءه ، وعمل فيه خيراً » .

[من حديث أخرجه مسلم]

قال الأقدمون :

« إلا من أعطاه الله خيراً » أي مالاً .

« فنفح فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه » أي في جميع وجوه المكارم ، ونفح أي ضرب يديه فيه بالعطاء .

« وعمل فيه خيراً » وعمل فيه بطاعة الله .

نفس الحديث السابق ..

إلا أن الجديد فيه .. هو الألوان الجميلة البديعة . التي ينقلنا اليها أبو ذر .

إنه يحدثنا إن ذلك كان في ظل القمر .

وانه كان يمشي وحده .. ورسول الله ﷺ .. يمشي وحده .

انها فرصة العمر .. انه سوف يحظى بلحظات مع رسول الله ﷺ .
وناداه رسول الله ﷺ .. يا أبا ذر .. تعاله .

وانطلقا .. وتحدثا .. وكشف له ﷺ .. ما رأى أن يكشف له من تلك الأسرار العليا .

فاستقرت في شغاف قلبه .

حتى إذا تغير القوم .. وابتعدوا .. عن توجيه رسولهم .. أشعلها ثورة عليهم جميعاً .

وكانت تلك الثورة الكبرى .. تنبع من تلك الينابيع المقدســة .. التي تلقاها من رسول الله ﷺ .. وليس بينه وبينه حجاب !

ولننظر الآن ..

كيف كانت تلك الثورة المقدسة .. تشتعل في أعماق البطل ؟!

إن هؤلاء .. لا يعقلون شيئا ؟!

عن الأحنف بن قيس قال : —

« قدمت المدينة ، فبينا أنا في حلقة فيها ملأ من قريش .

« إذ جاء رجل ، أخشن الثياب ، أخشن الجسد ، أخشن الوجه .

« فقام عليهم ، فقال :

« بشر الكانزين برضف يحمى عليه في نار جهنم .

« فيوضع على حلمة ثدي أحدهم ، حتى يخرج من نغض كتفيه .

« ويوضع على نغض كتفيه ، حتى يخرج من حلمة ثدييه ، يتزلزل .

« قال : فوضع القوم رؤوسهم ، فما رأيت أحداً منهم ، رجع اليه شيئاً .

« قال : فأدبر ، حتى اتبعته حتى جلس الى سارية .

« فقلت : ما رأيت هؤلاء إلا كرهوا ما قلت لهم ؟!

« قال ان هؤلاء لا يعقلون شيئاً.
« ان خليلي ابا القاسم .. ﷺ .. دعاني فأجبته .
« فقال : أترى احداً ؟
« فنظرت ما علي من الشمس ، وأنا اظن انه يبعثني في حاجة له .
« فقلت : أراه .
« فقال : ما يسرني أن لي مثله ذهباً .
« انفقه كله ، الا ثلاثة دنانير .
« ثم هؤلاء يجمعون الدنيا ، لا يعقلون شيئاً !
« قال : قلت : مالك ولاخوتك من قريش ، لا تعتريهم ، وتصيب منهم ؟
« قال :
« لا وربك .
« لا أسألهم عن دنيا .
« ولا أستفتيهم عن دين .
« حتى ألحق بالله ورسوله » .

[اخرجه مسلم] .

قال الأقدمون :
« رضف » هي الحجارة المحماة .
« نغض كتفيه » أعلى الكتف .
« لا تعتريهم » تأتيهم وتطلب منهم .
« لا أسألهم دنيا » أي شيئاً من متاعها .
انها نار تتلظى في أعماقه .. تريد أن تخرج .. لتحرق الباطل أينما كان .
انظر اليه .. وهو يعلن الى الوجود كله .. إن هؤلاء لا يعقلون شيئاً !
انه يعجب أشد العجب .. كيف ساغ لهؤلاء أن يجمعوا المال .. ويستبقوه في أيديهم .. ولا يخرجوه الى الناس .. بعد أن سمعوا ما سمعوا من كلام رسول الله ﷺ .. ورأوا ما رأوا من سلوكه الأعلى ؟ !

سمعت صوتاً .. في السحاب !؟

« عن النبي .. ﷺ .. قال :

« بينما رجل بفلاة من الأرض .

« فسمع صوتا في سحابة .

« اسق حديقة فلان .

« فتنحى ذلك السحاب .

« فأفرغ ماءه في حرة .

« فاذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله .

« فتتبع الماء .

« فاذا رجل قائم في حديقة ، يحول الماء بمسحاته .

« فقال له : يا عبد الله ، ما اسمك ؟

« قال : فلان « للاسم الذي سمع في السحابة .

« فقال له : يا عبد الله ، لم تسألني عن اسمي ؟

« فقال : اني سمعت صوتا في السحاب ، الذي هذا ماؤه ، يقول : اسق حديقة فلان ، لاسمك ، فما تصنع فيها ؟.

« قال : اما اذ قلت هذا .

« فاني أنظر الى ما يخرج منها .

« فأتصدق بثلثه .

« وآكل انا وعيالي ثلثا .

« وأرد فيها ثلثه » .

[اخرجه مسلم]

« فتنحى ذلك السحاب » أي قصد .

« الحرة » أرض ملبسة بحجارة سوداء .

« الشرجة » مسيل الماء ، في الحرة ، أي في تلك الأرض الملبسة بالحجارة السوداء .

ما أروع تلك القصة !

التي يقصها علينا .. رسول الله ﷺ .

بينا رجلا يسير وحيداً .. بصحراء ما .. من الأرض .

فسمع ذلك الرجل .. صوتاً .. صادراً من سحابة سابحة . في السماء !

صوتا .. قوياً .. عالياً .. ينبعث .. من تلك السحابة .

صوتاً لا يدري الرجل .. له مصدراً .

أهو صوت ملك من الملائكة ؟

كان ذلك الصوت يقول : اسق حديقة فلان .

وحدد الصوت فلانا هذا .. بإسمه تحديدا .

ثم ماذا ؟

ثم الأعجب من ذلك .

ثم رأى ذلك الرجل .. الذي يسير وحده في تلك الصحراء .

رأى تلك السحابة .. التي انبعث منها ذلك الصـــوت .. تتنحى .. أي تقصد مكاناً معينا .

وفوق المكان المعين .. وكان حرة .. أي أرضا ملبسة بحجارة سوداء .

وقفت السحابة .. وأفرغت ماءها كله .. فوق تلك الأرض الحجرية !

ثم ماذا ؟

ثم رأى الرجل عجبا !

رأى شرجة .. رأى أخدوداً من تلك الأخاديد الطبيعية .. التي تنتشر في تلك الأرض الحجرية .

رأى ذلك الأخدود .. قد استوعب ذلك الماء كله !

فتحول الى ترعة ممتلئة بالماء العذب .. كأنها تنبع من نهر عظيم .

ثم ماذا .. ثم دفع حب الاستطلاع ذلك الرجل .. أن يتتبع ذلك الأخدود الممتلىء بالمـاء .

فسار بمحاذاته .. فوجده ينتهي عند حديقة رائعة .. فيها من كل الثمرات قد نبتت نباتاً رائعاً !

فإذا رجل قائم ؟ .. أي فوجد فيها رجلا واقفا .. يحول الماء المتدفق بمساحيه .. الى الحديقة !

نظر الرجل .. الى الرجل .. ثم سأله : يا عبد الله ما اسمك ؟

قال صاحب الحديقة : فلان ..

فدهش السائل .. حيث وجد الاسم الذي ذكره صاحب الحديقة .. هو نفس الاسم .. الذي سمعه في السحابة !

فازداد السائل دهشة .. ووقف يتأمل الرجل .. لعله يجد تفسيراً لهذا كله ؟!

ولاحظ صاحب الحديقة على السائل .. أنه في حيرة من أمره .. فقال له :

يا عبد الله .. لمَ تسألني عن اسمي ؟

فقال السائل :

إني سمعت صوتا في السحاب.. الذي هذا ماؤه.. يقول: اسق حديقة فلان.. لاسمك .. فما تصنع فيها ؟

لقد انكشف السر .. الذي كان بين الرجل وربه !

لقد كان الرجل .. يخفي سلوكه عن الناس .. ويجعله شيئاً خالصاً .. بينه وبين ربه .

ولكن ها هو ذلك السائل .. قد اطلعه الله على السر !

فلا بأس أن يكشف له عما يخفيه عن الناس .

فقال للسائل : أما إذا قلت هذا .

« فاني انظر الى ما يخرج منها .

« فأتصدق بثلثه .

وآكل أنا وعيالي ثلثا .

« وأرد فيها ثلثه » !.

هذا هو سلوك الرجل .

الذي أكرمه الله .. بتلك الكرامة .. جزاء اخلاصه .. واخفاء عمله لوجه الله .

إن أحداً لم يفرض عليه .. أن ينظر الى محصول حديقته .

فيقسمه ثلاثا .. ثلث يتصدق به .. للفقراء والمساكين واليتامى .

وثلث .. له ولعياله .. تعيش الأسرة كلها منه .

وثلث يرده فيها .. أي ينفقه في اصلاحها وما يلزمها .

إن ما يفرضه الله عليه .. أن يخرج زكاة تلك الثمار .. وهو عشر محصولها .

ولكن الرجل العظيم .. رفع من تلقاء نفسه تلك النسبة .. فجعلها ٣٣ ١/٣ ٪ من المحصول .

ثم سما فقهه .. فجعل نصيبه ونصيب أسرته كلها .. ثلث المحصول .. أي مثل نصيب الفقراء .

وأما الثلث الباقي .. فينفقه على الحديقة .. ليحفظ رأس المال .

لماذا فعل هذا ؟

ابتغاء وجه ربه الأعلى .

فتقبل الله .. عنه أحسن ما عمل .. وبعث بملائكته .. يسوقون له خاصة .

من أجل عويناته !.

يسوقون السحاب .. ليفرغ ماءه .. ليتدفق إلى تلك الحديقة المباركة .

ومن هنا .

ومن أمثال .. تلك الينابيع العليا .

كان أبو ذر .. يترقرق .. نهراً من أنهار الحقيقة .

يموت ... وحده ؟!.

نحن في سنة ثنتين وثلاثين للهجرة .

ها هي الأيام تتقدم بالعملاق .. ويتقدم هو خلالها الى الكبر .

وها هي الوحدة التي فرضتها عليه المقادير .. تطبق عليه من كل مكان .

الدولة غير راغبة فيه .

الأغنياء غير راغبين فيه .

أصحاب الهوى والمصالح غير راغبين فيه .. نفسه التي بين جنبيه .. ضجت منه من طول ما أرقها .. , طول ما اشتد عليها .

كل شيء من حوله يعتزل الرجل .. حتى أصبح وحيداً .. وإن كان ما زال في الناس .

وأصبح الرجل وبينه وبين الدنيا انفصال تام .

لأنه يريدها خطاً مستقيماً .. وهي تريد أن تمضي عوجا .

والعملاق الرهيب . العجيب .. الغريب .. لا يريـــد أن يطأطىء لغير الله .

لا يريد أن يتزحزح .. عن شيء تركه عليه .. رسول الله .. ﷺ !

ثم ماذا ؟!

وحـــده ؟!

وجاءت سكرة الموت بالحق .

ولم يكن بجواره وقتها .. سوى زوجته !

وابتعدت الدنيـــا كلها .. بالملايين التي عليها .. عن أبي ذر .. في تلك الساعة الرهيبة !

الساعة التي يقف فيها بين الدنيا والآخرة .

وبلغت الروح الحلقوم .. ونظر أبو ذر حوله .. فلم يجد أحداً .. غير زوجته التي تبكي .. وتشتد في البكاء !

فاطمأن الرجل .. وأيقن ساعتها أن تلك الوحدة المفروضة عليه .. حتى في موته .. هي الضريبة الخالدة التي لا بد له أن يدفعها حتى عند الموت .

إن هذه الوحدة .. هي الفصل الثاني .. من نبوءة رسول الله ﷺ .. يعيش وحده .. ويموت وحده » !

وسأل أبو ذر زوجته .. وهو يعاني سكرات الموت : ما يبكيك ؟

فقالت :

« **انك تموت بتلك الفلاة .**

« **ولا قدرة لي بنعشك .**

« **وليس لك ، ولا لي .**

« **ثوب اكفنك فيه** » !.

آه .. ثم آه !

لو أن أبا ذر .. كان صعلوكا من صعاليك المناصب .

أو لو أنه كان عتلا من أراذل الرجال .. الذين يرتفعون في هذه الحياة .. بأموالهم لا بأخلاقهم .

أو لو أنه كان منافقاً .. من المنافقين .. أو لو أنه كان رجلا من رجال الألاعيب .. والبهلوانيات الدنيوية .

لو أنه كان أحد هؤلاء .. لجاءه الناس من كل واد يهرعون .

ولخرجت جنازته يشيعها آلاف من الوجوه والكبراء .

ولكنه لم يكن أحد هؤلاء .

بل كان يصارع كل هؤلاء .. ويصارع من هم فوق هؤلاء .

ويصارع حتى نفسه .. فيردها عن هواها .. ويلجمها عن مشتهاها .. ابتغاء ما عند الله !

رجل أراد الله .. ولم يرد الناس .

فكان لسان حال أكثر الناس : اذهب الى من أردت .. فلست منا ولسنا منك .

وقال الله :

« من المؤمنين رجال .

« صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

« فمنهم من قضى نحبه .

« ومنهم من ينتظر .

« وما بدلوا تبديلا » .

لقد كان أبو ذر .. من هؤلاء الرجال .

وكان من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

وكان ينتظر .. لقاء الله .. وما بدل تبديلا .. يسيراً .. أو قليلا .

بل يثبت على الحق .. الذي تركه عليه .. رسول الله ﷺ .. ثبوت الجبال .. لم يتزحزح .. ولم يلتفت إلى دنيا .

بل كان الله أكبر همه .

فكان جزاؤه من الدنيا وأهلها ما ترى ؟

وحين يريد الله تعالى أن يرفع مقام إنسان عنده .. يسلك به السبيل التي تؤهله لذلك المقام .. وهو في الدنيا .

ومقام أبي ذر عند الله .. مقام « ويبعث يوم القيامة وحده » .

ذلك المقام الذي أعده الله له .

يوم يبعثه الله وحده .. عظيما .. يقف بين الخلائق وحده .. عاليا .. رفيعـــاً

ذلك المقام له ثمن عظيم .. لا بد أن يدفعه أبو ذر .

وهذا هو الثمن .. حتى في موته .. يموت ولا يجد أحداً من حوله !

إلا هذه المرأة المسكينة الحائرة .

لا تدري ماذا تفعل ؟

ولما سألها : ما يبكيك ؟.. قالت : انك تموت بأرض فلاة !

انك تموت بصحراء لا أسباب فيهـــا للحياة .. ولا أحد فيها يعينني ؟

ولا قدرة لي بنعشك .. ماذا أعمل وأنا وحدي .. ومن يحمل جثتك .. ومن يصلي عليها .. ومن يغسلها .. ومن يواريها التراب ؟

سلسلة من البلايا .. تنزل فوق المرأة المسكينة .

إلا أن أشدها أثراً في النفس .. حين قالت له : وليس لك ولا لي ثوب أكفنك فيه .

ما هذا ؟

هذه خاتمـــة أبي ذر !

إن السماء لتهتز .. وإن الأرض لتميد .. وأن الملائكة لتضج ضجيجاً إلى ربها .. ربنا .. أبا ذر .. امرأته لا تجد شيئاً تكفنه فيه ؟

انها لأعلى نهاية .

وأسمى خاتمة .. يطمع أن يكون عليها إنسان .. يريد وجه الله .

وأي صدق أعظم من ذلك الصدق ..

لقد صدق الله .. وصدق الناس .. وصدق نفسه .. وألزمها مبادئه .. حتى كان من أمره ما نرى .

لا يملك قطعة قماش يكفن فيها .

لا .. تبكي ؟!

ونظر المملاق .. إلى زوجته وهي تبكي بكاءها الحارق .

وقال لها في صوت .. نصفه في الدنيا .. ونصفه في الآخرة :

« لا تبكي .

« فاني سمعت رسول الله .. ﷺ .. يقول لنفر ، انا فيهم :

« ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض .

« فتشهده عصابة من المؤمنين .

« وليس من أولئك النفر رجل ، إلا وقد مات في قرية ، وجماعة من المسلمين .

« وأنا الذي أموت بفلاة .

« والله ، ما كذبت ، ولا كذبت .

« فانظري الطريق » .

كلمات غاليات خالدات .. خارجات من فمه الكريم .. مطمئنات اطمئنان قلبه الكريم .

كأن شيئاً لم يحدث .. وإنما هو مسرور غاية السرور !

وناداها في بكائها : لا تبكي .

ليموتن رجل منكم بفلاة ؟! سوف يموت أحدكم بصحراء .

نبوءة للرسول .. ﷺ .

وما قاله .. ﷺ .. لا بد أن يتحقق .. لأنه وحي يوحى .

ثم ماذا ؟. فتشهده عصابة من المؤمنين ؟. وهذا الرجل الذي سيموت منكم بصحراء .. سوف يحضر موته جماعة من المؤمنين .

علامة أخرى .. ينبغي أن تقع .

ويطمئن العملاق زوجته التي تبكي .. وليس من أولئك النفر رجل إلا وقد مات ، في قرية ، وجماعة من المسلمين .

فلم يبق منهم إلا أنا .

وأنا الذي أموت بفلاة .. تحتم الأمر الآن .. أن يكون أنا هو ذلك الذي سوف يموت في هذه الصحراء .

ثم يقسم لزوجته .. ليؤكد لها ما يقول .. ويثبت فؤادها الذي أصبح خاويا .

« والله ما كذبت ولا كذبت » .. بحق الله .. ما كذبت في شيء سمعته منه .. ﷺ .. بل ان كل أمر نبأني به قد وقع كما تنبأ .. ولا كذبت عليه .. ﷺ .. أبداً .

فانظري الطريق ؟! فعليك الآن أن تذهبي .. وتنظري الطريق من حولنا .

لا بد أن يتحقق كلام رسول الله .. ﷺ .

لا بد أن جماعة من المؤمنين .. قادمة الينا الآن ؟!

وصدقت المرأة بكلماته .

وذهبت تنظر ماذا في الطريق ؟!

وجعلت تنظر هنا وهناك .. في الآفاق .. ولكن شيئاً لم يظهر من بعيد .

وعادت اليه .. فوجدته يدخل إلى الآخرة .. ويخرج من الدنيا .

فجعلت تعينه على موته .. وتخفف عنه سكرة موته .. وهي تبكي .

وهو يقول لها : ارحمي .. فانظري الطريق .. صدق رسول الله .

فذهبت فلم تجد أحداً !

ثم عادت اليه .. قالت : ما وجدت شيئاً ؟!

وما زالت تتردد بين زوجها .. لتنظر أمره .. وما أشبه ما كان منها تلك الساعة .. بما كان من أم اسماعيل .. عليه السلام حين تركته وهو يشرف على الموت عطشاً .. وجعلت تتردد بين الصفا والمروة .. لعلها .. تجد أحداً !

لقد كانت هاجر في اضطرابها بين الصفا والمروة .. تخشى أن يموت اسماعيل ولا تجد ماء .

فما مات اسماعيل .. ولكن كانت زمزم .. نبعاً خالداً لكل أحد .

وما مات أبو ذر .. وإن كان قد مات .. ولكن بقيت نهايته نبعاً خالداً لكل أحد .

ثم ماذا ؟. وما زالت تتردد بين زوجها .. وبين استطلاعها .

وذهبت إلى كثيب مشرف على الطريق .

ونظرت .. فرأت ركباً قادماً من بعيد ؟!

أحقاً هــذا ؟ !

نعم .. انهم رجال .. قادمون على رواحلهم .. كأنهم الرخم .

ومن بعيد .. ألاحت لهم بثوبها .. وتنادى القوم :

« هذه امرأة تستغيثنا فأغيثوها » .

وضعوا السياط في نحور رواحلهم .. واستبقوا اليها .

ولما بلغوها قالوا :

« ما لك يا امة الله » ؟ .

قالت .. وهي مضطربة مهمومة :

« امرؤ من المسلمين يموت ، تكفنونه ، وتشهدون جنازته » .

قالوا في لهفة : ومن هو ؟

قالت :

« ابو ذر » .

فصاحوا جميعاً :

« صاحب رسول الله » ؟.

قالت والبكاء يصهرها :

« نعم » .

فأسرعوا اليه .. وهم يتصايحون: بأبي أنت وأمي، يا أبا ذر .

وهكذا .. وقع الحق .. وتحقق قوله .. ﷺ !

لا أكفن .. إلا في ثوبي ؟!

ودخل القوم سراعاً .. إلى أبي ذر .. في أعقابهم امرأته .

قالوا : السلام عليكم ورحمة الله .

قال : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .. ابشروا .. فأنتم الجماعة المؤمنة التي قال رسول الله .. ﷺ .. انها تشهد وفاتي .

وقص عليهم قصة الحديث .. الذي قصه من قبل على امرأته .

فنظر بعضهم إلى بعض .

وعجبوا من رجل يموت .. وهو يمازحهم ويبشرهم !

ثم أعلن أبو ذر .. وهو يموت اليهم : أنتم تسمعون ؟

فنظروا اليه جميعاً .

فقال :

« لو كان لي ثوب .

« أو لامرأتي ثوب ، يسعني .

« لم أكفن إلا في ثوب هو لي ، أو لها » .

ونظروا جميعاً .. فما وجدوا له ثوباً .. أو لزوجته .. يصلح كفناً !

ونظر العملاق اليهم النظرة الأخيرة .. ونادى فيهم :

« فأنشدكم الله ، والاسلام .

« الا يكفنني رجل منكم ، كان أميرا ، أو عريفا ، أو نقيبا ، أو بريدا » .

ونظر بعضهم إلى بعض : هل فيكم من ليس كذلك ؟

فقال فتى منهم ، من الأنصار :

« يا عم .. أنا اكفنك ، لم اصب مما ذكرت شيئاً » .

ثم قال :

« اكفنك في ردائي هذا .

« الذي علي ، وفي ثوبين في حقيبتي ، من غزل أمي ، حاكتها لي » .

ففرح أبو ذر .. فرحاً شديداً كأنما يساق إلى الجنة .. وقال :

« انت .. فكفني » .

تموت .. وحـــدك ؟!

وبلغت الروح الحلقوم .

وجلسوا من حوله ينظرون .

والله أقرب اليه منهم .. ولكن لا يبصرون !

والتفت الساق بالساق .

وخرجت روحه الطاهرة .. إلى بارئها .

وبكوا جميعاً .

وقاموا إلى جهازه .

فكفنه الفتى الأنصاري .. في الجماعة الذين شهدوا موته .

وكان منهم حجر بن الأدبر .

ومالك بن الأشتر .

في جماعة كلهم من اليمن .

ونفذوا ما أوصى به حرفياً .. لم يحيدوا عنه شيئاً !

لقد كان الرجل .. يريد ألا يكفنه رجل شغل وظيفة من وظائف الدولة .

فهو يريد ألا يمسه أحد هؤلاء .. ألا يمسه إلا المطهرون !

وقد كان .. فما مسه إلا فتى لم يشغل إحدى وظائف الدولة !

وما كفنه إلا في ثوبين كانا في حقيبته .. ليس فيهما أدنى شبهة !

ثم ماذا ؟!

وبينما هو في شغل بجنازته .. أقبل عبد الله بن مسعود .. أمير الكوفة .. في جماعة من العراق عماراً .

جاءوا يريدون زيارة البيت الحرام .. لأداء العمرة .

فما أن علم أنها جنازة أبي ذر .

حتى انفجر يبكي .. وهو يقول :

« أخي ، وخليلي » .

ثم صلى عليه .

وهو يقول :

« صدق رسول الله .. ﷺ :

« تمشي وحدك .

« وتموت وحدك .

« وتبعث وحدك » !.

﴿ تمـــت ﴾

فهرس

الموضوع	صفحة

إعلان الثورة الفكرية

الموضوع	صفحة

اشتراكية أبي ذر

رأي أبي ذر .. في ثروة المليونير .. عبد الرحمن بن عوف

الموضوع	صفحة

يعيش وحده

الموضوع — صفحة

ينابيع .. ثورة .. أبي ذر

يموت .. وحده

ماذا في هذا الكتاب ؟!

فيه عجائب الرجل الذي قال فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

« ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء، من ذي لهجة، أصدق، ولا أوفى، من أبي ذر

« من سره أن ينظر إلى زهد عيسى بن مريم

« فلينظر الى أبي ذر » !!!